
٢١
سلسلة
الدروس
الثقافية
وصايا الأمير
الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org
شبكة المعارف الإسلامية
مركز نون
للتأليف والترجمة

وصـــايـــا الأمـــير عليه السلام

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
بيروت. لبنان. المعمورة. الشارع العام
هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠ فاكس: ٠١/٤٧٦١٤٢
www.almaaref.org
Email: info@almaaref.org



الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

الكتاب: وصايا الأمير عليه السلام
إعداد: مركز نون للتأليف و الترجمة
نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
الطبعة الأولى تشرين الثاني 2008م - 1429هـ

وصايا الأمير عليه السلام

مركز نون للتأليف والترجمة
الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسل رحمة للعالمين وعلى وصيه وخليفته علي أمير المؤمنين.

إن كتاب نهج البلاغة بحر فياض لا تنتهي كنوزه ولا تضمحل غنائمه، يمثل القيم الإنسانية، والرسالة الإلهية، والأنوار المحمدية، بأبعادها المختلفة، كيف لا ؟! وهو يحوي كلمات باب العلم، ودليل الهداية، وميزان الحق والباطل، ماء القلوب ونور الأبصار...

ومن درره العظيمة، وصيته عليه السلام التي كتبها لابنه الإمام الحسن عند انصرافه من صفين، هذه الوصية التي تمثل مدرسة عظيمة، يجتمع فيها تراكم التجارب الإنسانية، وعصارة الرسالة الإلهية، في قالب سبكه فارس البلاغة، وأمير البيان، وسيد الكلمة.

وفي هذا الكتاب الماثل بين يديك، ضمن سلسلة الدروس الثقافية، حاولنا أن نتتلمذ في هذه المدرسة العظيمة، بحسب ما تسعفنا أفهامنا، فقسمنا هذه الوصية إلى دروس، نركز الضوء في كل درس على فكرة أساسية، نستنير بقبسها، ونواجه ببركتها تقلبات الدهر، وفتن الدنيا، وإن كنا نعي أن أفهامنا قاصرة عن الإحاطة بكلماته النورانية، ولكن كما في المقولة المشهور: "ما لا يدرك كله لا يترك جُلُّهُ".

نسأل الله تعالى أن يلهم قلوبنا فهم هذه الكلمات لتزهر بربيع المعرفة، ويوفق ابصارنا للاستفادة من نورها.

والحمد لله أولاً وآخراً

مركز نون للتأليف والترجمة

خطب الإمام علي عليه السلام

من وصية للإمام علي بن أبي طالب لابنه الإمام الحسن عليه السلام، كتبها إليه بحاضرين منصرفاً من صفين:

«مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ، الْمُدْبِرِ الْعُمُرِ، الْمُسْتَسْلِمِ لِلدُّنْيَا، السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى، الظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً، إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لاَ يُدْرِكُ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الْأَسْقَامِ رَهِينَةِ الْأَيَّامِ، وَرَمِيَّةِ الْمَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا، وَتَاجِرِ الْغُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَنَايَا، وَأَسِيرِ الْمَوْتِ، وَحَلِيفِ الْهُمُومِ، وَقَرِينِ الْأَحْزَانِ، وَنُصُبِ الْآفَاتِ، وَصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي، وَجُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَيَّ، وَإِقْبَالِ الْآخِرَةِ

إِلَيَّ، مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ، وَالْإِهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي، غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي، فَصَدَقَنِي رَأْيِي، وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ، وَصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي، فَأَفْضَى بِي إِلَى جِدٍّ لاَ يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ، وَصِدْقٍ لاَ يَشُوبُهُ كَذِبٌ. وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذا، مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ. فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ ـ أَيْ بُنَيَّ ـ وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَالْإِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ! أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ، فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا عَمَّا انْتَقَلُوا، وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا! فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَحِبَّةِ، وَحَلُّوا دِيَارَ الْغُرْبَةِ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ. فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ، وَلاَ تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ، وَدَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لاَ تَعْرِفُ، وَالْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ، وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلاَلَتَهُ، فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلاَلِ

خَيْـرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْـوَالِ، وَأْمُرْ بِالْمَعْـرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِـهِ، وَأَنْكِرِ الْمُنكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَـانِكَ، وَبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ، وَجَاهِدْ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلاَ تَأْخُـذْكَ فِي اللهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ، وَخُضِ الْغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ، وَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ، وَعَوِّدْ نَفْسَـكَ التَّصَـبُّرَ عَلَـى الْمَكْرُوهِ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ فِي الْحَقِّ! وَأَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا إِلَى إِلهِكَ، فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَـا إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ، وَمَانِعٍ عَزِيزٍ، وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْـأَلَةِ لِرَبِّكَ، فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ، وَأَكْثِرِ الْاسْتِخَارَةَ، وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي، وَلاَ تَذْهَبَنَّ عَنْكَ صَـفْحاً، فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ خَيْرَ فِي عِلْـمٍ لاَ يَنْفَعُ، وَلاَ يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لاَ يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ. أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِـنّاً، وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً، بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأَوْرَدْتُ خِصَـالاً مِنْهَا قَبْـلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِـي دُونَ أَنْ أُفْضِـيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِـي، أَوْ أَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْـتُ فِي جِسْـمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّـعْبِ النَّفُورِ. وَإِنَّمَـا قَلْبُ الْحَـدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَـا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَـيْءٍ قَبِلَتْهُ. فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُـو قَلْبُكَ، وَيَشْـتَغِلَ لُبُّكَ، لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِـكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيـتَ مَؤُونَةَ الطَّلَبِ، وَعُوفِيتَ مِنْ عِلاَجِ التَّجْرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، وَاسْـتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَـمَ عَلَيْنَا مِنْهُ. أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي وَإِنْ

لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَتَهُ، وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ، وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمُرِ مُقْتَبَلُ الدَّهْرِ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ، وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ، وَأَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَأْوِيلِهِ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، لَا أُجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ. ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتُ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَى أَمْرٍ لَا آمَنُ عَلَيْكَ بِهِ الْهَلَكَةَ، وَرَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ اللهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ، وَأَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ، فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هَذِهِ. وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللهِ، وَالْإِقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْكَ، وَالْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ، وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا، وَالْإِمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا، فَإِنْ

أَبَتْ نَفْسُــكَ أَنْ تَقْبَلَ ذلكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلمُوا فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذلكَ بتَفَهُّــم وتَعَلُّمٍ، لاَبتَوَرُّط الشُّــبُهَات، وَعُلَق الْخُصُــومَات. وَابْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذلكَ بالْإِسْتعَانَة بإلهكَ، وَالرَّغْبَة إِلَيْه في تَوْفيقكَ، وَتَرْك كُلِّ شَــائبَة أَوْلَجَتْكَ فِي شُبْهَة، أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَى ضَلالَة. فَإِنْ أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَــفَا قَلْبُكَ فَخَشَــعَ، وَتَمَّ رَأْيُكَ وَاجْتَمَعَ، وَكَانَ هَمُّــكَ فِي ذلكَ هَمّاً وَاحِــداً، فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّــرْتُ لَــكَ، وَإِنْ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَــا تُحبُّ مِنْ نَفْســكَ، وَفَرَاغِ نَظَــرِكَ وَفكْرِكَ، فَاعْلَــمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ الْعَشْــوَاءَ، وَتَتَوَرَّطُ الظَّلْمَاءَ، وَلَيْسَ طَالبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَّطَ، وَالْإِمْسَــاكُ عَــنْ ذلكَ أَمْثَلُ. فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وَصِــيَّتِي، وَاعْلَــمْ أَنَّ مَالكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالكُ الْحَيَــاة، وَأَنَّ الْخَالقَ هُوَ الْمُميتُ، وَأَنَّ الْمُفْنِيَ هُوَ الْمُعيدُ، وَأَنَّ الْمُبْتَلِيَ هُوَ الْمُعَافِي، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لتَسْــتَقِرَّ إِلاَّ عَلَى مَا جَعَلَهَا اللهُ عَلَيْه مِــنَ النَّعْمَاء، وَالْابْتِــلاَء، وَالْجَزَاء فِي الْمَعَاد، أَوْ مَاشَــاءَ مِمَّا لاَ تَعْلَمُ، فَإِنْ أَشْــكَلَ عَلَيْكَ شَــيْءٌ مِنْ ذلكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتكَ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَــا خُلقْتَ جَاهلاً ثُمَّ عَلِمْتَ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ، وَيَتَحَيَّرُ فِيه رَأْيُكَ، وَيَضِــلُّ فِيه بَصَرُكَ ثُمَّ تُبْصِــرُهُ بَعْدَ ذلكَ ! فَاعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَــكَ وَرَزَقَكَ وَسَــوَّاكَ، وَلْيَكُــنْ لَهُ تَعَبُّــدُكَ، وَإِلَيْه رَغْبَتُــكَ، وَمِنْهُ شَــفَقَتُكَ. وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُــولُ ـ صَــلَّى اللهُ عَلَيْه وَآله ـ فَارْضَ بِهِ رَائِداً، وَإِلَــى النَّجَاة قَائِداً،

فَإِنِّي لَمْ آلُك نَصِيحَةً. وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ ـ وَإِنِ اجْتَهَدْتَ ـ مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ. وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ إِلهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، لاَ يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلاَ يَزُولُ أَبَداً وَلَمْ يَزَلْ، أَوَّلٌ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ بِلاَ أَوَّلِيَّة، وَآخِرٌ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلاَ نِهَايَة. عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ. فَإِذَا عَرَفْتَ ذلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ، وَقِلَّةِ مَقْدِرَتِهِ، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، عَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ، فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَالْخَشْيَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلاَّ بِحَسَنٍ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلاَّ عَنْ قَبِيحٍ. يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَةِ وَمَا أُعِدَّ لأَهْلِهَا فِيهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الْأَمْثَالَ، لِتَعْتَبِرَ بِهَا، وَتَحْذُوَ عَلَيْهَا. إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ، نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ، فَأَمُّوا مَنْزِلاً خَصِيباً وَجَنَاباً مَرِيعاً، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ الْمَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذلِكَ أَلَماً، وَلاَ يَرَوْنَ نَفَقَةً مَغْرَماً، وَلاَ شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ. وَمَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ

وَلاَ أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فيه، إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْه، وَيَصِيرُونَ إِلَيْه. يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلاَ تَظْلِمْ كَمَا لاَ تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ، وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ. وَاعْلَمْ، أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ، وَآفَةُ الْأَلْبَابِ. فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ، وَلاَ تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ، وَإِذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ. وَاعْلَمْ، أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَأَنَّهُ لاَ غِنَى بِكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الْإِرْتِيَادِ، وَقَدْرِ بَلاَغِكَ مِنَ الزَّادِ، مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ، فَلاَ تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونَ ثِقْلُ ذَلِكَ وَبَالاً عَلَيْكَ، وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْه، فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَّاهُ، وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْه، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلاَ تَجِدُهُ، وَاغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ، لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ. وَاعْلَمْ، أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَؤُوداً، الْمُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالاً مِنَ الْمُثْقِلِ، وَالْمُبْطِىءُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالاً مِنَ الْمُسْرِعِ، وَأَنَّ مَهْبِطَكَ بِهَا لاَ مَحَالَةَ إِمَّا عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ، فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ

نُزُولكَ، وَوَطِّىء الْمنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْت مُسْتَعْتَبٌ، وَلاَ إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ. وَاعْلَمْ، أَنَّ الَّذي بيَده خَزَائِنُ السَّموَات وَالْأَرْضِ قَدْ أَذنَ لَكَ في الدُّعَاء، وَتَكَفَّلَ لَكَ بالْإِجَابَة، أَمرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَتَسْتَرْحمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعلْ بيْنَكَ وبيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْه، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَة، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَة، وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالْإِنَابَة، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَى، وَلَمْ يُشدِّدْ عَلَيْكَ في قَبُول الْإِنَابَة، وَلَمْ يُنَاقشْكَ بِالْجَرِيمَة، وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَة، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْب حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ، بَابَ الْاسْتعْتَاب؛ فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْه بِحَاجَتكَ، وَأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسكَ، وَشَكَوْتَ إِلَيْه هُمُومَكَ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَاسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِه مَا لاَ يَقْدرُ عَلَى إِعْطَائه غَيْرُهُ، مِنْ زِيَادَة الْأَعْمَارِ، وَصِحَّة الْأَبْدَانِ، وَسَعَة الْأَرْزَاقِ. ثُمَّ جَعَلَ في يَدَيْكَ مَفَاتيحَ خَزَائنه بِمَا أَذنَ لَكَ فيه منْ مَسْأَلَته، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاء أَبْوَابَ نِعَمه، وَاسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَته، فَلاَ يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَته، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّة، وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ، لِيَكُونَ ذلكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآملِ. وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلاَ تُؤْتَاهُ،

وَأُوتيـت خَيْراً منْهُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً، أَوْ صُـرِفَ عَنْـكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَـرُبَّ أَمْرٍ قَـدْ طَلَبْتَهُ فيه هَلاَكُ دِينكَ لَوْ أُوتِيتَهُ، فَلْتَكُنْ مَسَـأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُـهُ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ، فَالْمَالُ لاَ يَبْقَى لَكَ وَلاَ تَبْقَى لَهُ. وَاعْلَـمْ يَا بُنَيَّ أَنَّـكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلآخِـرَةِ لاَ لِلدُّنْيَا، وَلِلْفَنَـاءِ لاَ لِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَـوْتِ لاَ لِلْحَيَاةِ، وَأَنَّكَ فِي قُلْعَـةٍ، وَدَارِ بُلْغَةٍ، وَطَرِيقٍ إِلَى الْآخِرَةِ، وَأَنَّـكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي، لاَ يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلاَ يَفُوتُهُ طَالِبُهُ،وَلاَ بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرِ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ سَـيِّئَةٍ، قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَـكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ.

أَكْثِـرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضِـي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّـى يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ، وَشَـدَدْتَ لَـهُ أَزْرَكَ، وَلاَ يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلاَدِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا، فَقَدْ نَبَّأَكَ اللهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَـاوِيهَا، فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلاَبٌ عَاوِيَةٌ، وَسِـبَاعٌ ضَارِيَةٌ، يَهِرُّ بَعْضُهَا بَعْضـاً،يَأْكُلُ عَزِيزُهَـا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَـغِيرَهَا، نَعَـمٌ مُعَقَّلَةٌ، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَـلَّتْ عُقُولَهَا،رَكِبَتْ مَجْهُولَهَا، سُـرُوحُ عَاهَةٍ بِوَادٍ وَعْثٍ، لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا، وَلاَ مُسِـيمٌ يُسِـيمُهَا، سَـلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَـارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى، فَتَاهُوا فِي

حَيْرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا، وَاتَّخَذُوهَا رَبّاً، فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا.

رُوَيْداً يُسْفِرُ الظَّلاَمُ، كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ الْأَظْعَانُ، يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ! وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفاً، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً. وَاعْلَمْ يَقِيناً، أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ، وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ، وَأَجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ، فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرَبٍ، فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلاَ كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ. وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً. وَلاَ تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً. وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لاَ يُنَالُ إِلاَّ بِشَرٍّ، وَيُسْرٍ لاَ يُنَالُ إِلاَّ بِعُسْرٍ؟! وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلاَّ يَكُونَ بَيْنَكَ بَيْنَ اللهِ ذُونِعْمَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قِسْمَكَ، وَآخِذٌ سَهْمَكَ، وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ وَ أَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ.

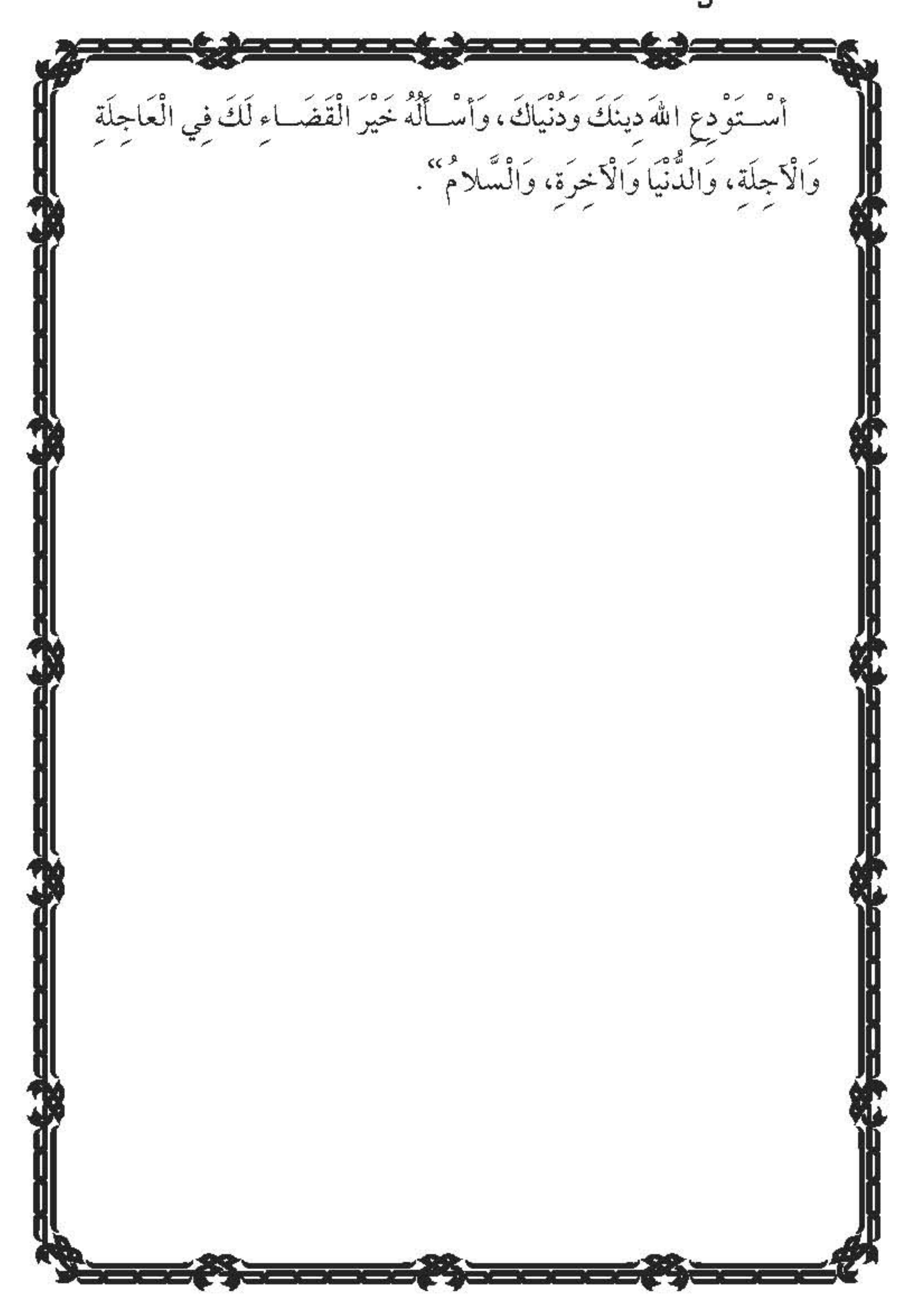
وَتَلاَفِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ، وَحِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ، وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدَيْ غَيْرِكَ. وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ، وَالْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ، وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ،

وَرُبَّ سَاعٍ فِيما يَضُرُّه! مَنْ أكْثَرَ أهْجَرَ، وَمَنْ تَفكَّرَ أبْصَرَ، قَارِنْ أهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنْ أهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ، بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَامُ! وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أفْحَشُ الظُّلْمِ، إذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً كَانَ الْخُرْقُ رِفْقاً. رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً، وَالدَّاءُ دَوَاءً، وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ، وَغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ. وَإيَّاكَ وَالاتِّكَالَ عَلَى الْمُنَى، فَإنَّها بَضَائِعُ النَّوْكَى، وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ، وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ. بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أنْ تَكُونَ غُصَّةً، لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، وَلاَ كُلُّ غَائِبٍ يَؤُوبُ، وَمِنَ الْفَسَادِ إضَاعَةُ الزَّادِ، وَمَفْسَدَةُ الْمَعَادِ، وَلِكُلِّ أمْرٍ عَاقِبَةٌ، سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ. التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ، وَرُبَّ يَسِيرٍ أنْمَى مِنْ كَثِيرٍ! لاَ خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ، وَلاَ فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ، سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ، وَلاَ تُخَاطِرْ بِشَيءٍ رَجَاءَ أكْثَرَ مِنْهُ، وَإيَّاكَ أنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ. احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصِّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللَّطَفِ وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبَذْلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ، حَتَّى كَأنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأنَّهُ ذُونِعْمَةٍ عَلَيْكَ. وَإيَّاكَ أنْ تَضَعَ ذلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أوْ أنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أهْلِهِ، لاَ تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ، وَامْحَضْ أخَاكَ النَّصِيحَةَ، حَسَنَةً كَانَتْ أمْ قَبِيحَةً، وَتَجَرَّعِ الْغَيْظَ، فَإنِّي لَمْ أرَ جُرْعَةً أحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً، وَلاَ ألَذَّ مَغَبَّةً، وَلِنْ لِمَنْ غَالَظَكَ، فَإنَّهُ

يُوشِـكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ، وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ، وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذلِكَ يَوْماً مَّا، وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَـدِّقْ ظَنَّهُ، وَلاَ تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالاً عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ، وَلاَ يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الْخَلْقِ بِكَ، وَلاَ تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ فِيكَ، وَلاَ يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صِـلَتِهِ، وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ. وَلاَ يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ، فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضَـرَّتِهِ وَنَفْعِكَ، وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ. وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّ الـرِّزْقَ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَـإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ، مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى! إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ، مَا أَصْـلَحْتَ بِهِ مَثْـوَاكَ، وَإِنْ كُنْتَ جَازِعاً عَلَى مَـا تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ، فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِـلْ إِلَيْكَ. اسْـتَدِلَّ عَلَى مَا لَـمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ، فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْـبَاهٌ، وَلاَ تَكُونَنَّ مِمَّنْ لاَ تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلاَّ إِذَا بَالَغْتَ فِي إِيلاَمِهِ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالْأَدَبِ، وَالْبَهَائِمَ لاَ تَتَّعِظُ إِلاَّ بِالضَّـرْبِ. اطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّـبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ، مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ جَارَ، وَالصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ، وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ، وَالْهَوَى شَـرِيكُ الْعَمَى، رُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ، وَقَرِيـبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ، وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ، مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَـاقَ مَذْهَبُهُ، وَمَنِ

اقْتَصـرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ، وَأَوْثَقُ سَـبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَمَنْ لَمْ يُبَالِكَ فَهُوَ عَدُوُّكَ، قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْرَاكاً، إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلاَكاً، لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ، وَلاَ كُلُّ فُرْصَـةٍ تُصَـابُ، وَرُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ، أَصَـابَ الأَعْمَى رُشْدَهُ. أَخِّرِ الشَّرَّ، فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ، وَقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ، مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ، لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ، إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ. سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ. إِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنَ الْكَلاَمِ مَا يَكُونُ مُضْحِكاً، وَإِنْ حَكَيْتَ ذلِكَ عَنْ غَيْرِكَ.

وَإِيَّاكَ وَمُشَـاوَرَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ، وَعَزْمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ. وَاكْفُـفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَـارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِـدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لاَ يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ، وَإِنِ اسْـتَطَعْتَ أَلاَّ يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَـلْ. وَلاَ تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ، وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَة. وَلاَ تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَـهَا، وَلاَ تُطْمِعْهَا أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا. وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ، فَإِنَّ ذلِكَ يَدْعُو الصَّـحِيحَةَ إِلَى السَّـقَمِ، وَالْبَرِيئَةَ إِلَى الرِّيَبِ. وَاجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلاً تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَلاَّ يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ. وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ، فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ.



أَسْتَوْدِعِ اللهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ، وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالسَّلامُ".

الدرس الأول

الإنسان في هذه الدنيا

مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ، الْمُدْبِرِ الْعُمُرِ، الْمُسْتَسْلِمِ، لِلدُّنْيَا، السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى، الظَّاعِنِ عَنْهَا غداً، إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لاَ يُدْرَكُ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الْأَسْقَامِ رَهِينَةِ الْأَيَّامِ، وَرَمِيَّةِ الْمَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا، وَتَاجِرِ الْغُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَنَايَا، وَأَسِيرِ الْمَوْتِ، وَحَلِيفِ الْهُمُومِ،قَرِينِ الْأَحْزَانِ، وَنُصُبِ الْآفَاتِ، وَصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ.

.تمهيد

عندما أراد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يشرع بالوصية لابنه الإمام الحسن عليه السلام ، كان من الطبيعي أن يبدأ بتعريف هذه الدنيا التي تمثل الساحة التي يعيش فيها الإنسان، ما هي ظروف هذه الساحة ومخاطرها وعلاقة الإنسان بها؟ فإن الإنسان إذا عرف هذه الساحة وطبيعتها ومقدار علاقته بها، فإن ذلك كله سيحدد له السلوك والمسار في هذه الدنيا، وهذا في الحقيقة تأسيس لكل ما يأتي بعد ذلك في الوصية.

وفي شرح الإمام عليه السلام لهذه الدنيا وطبيعتها وعلاقة الإنسان بها أشار إلى جوانب متعددة نشرحها فيما يلي:

أولاً: مخاطر الحياة

إن الإنسان في هذه الحياة الدنيا يواجه العديد من التحديات التي تواجهه، وهي تحديات متعددة ومتنوعة، ومعرفتها بداية الطريق لتجهيز النفس لمواجهتها، فمن هذه الأمور التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام :

ـ رهينة الأيام

الرهينة هو الأسير، فالإنسان أسير لهذه الأيام، تتحكم به وبمصيره، فكما أن الأسير لا يعلم ما يكون مصيره، بل أمره بيد آسره، فكذلك حال الإنسان في هذه الدنيا، هو أسير لما يمرّ عليه من الأيام.

ـ غرض الأسقام

الإنسان كالهدف لآفات الدنيا وأعراضها، ومن النادر أن يسلم من الإصابة بمرض ما، بل ونحن نعيش اليوم رغم التطور الطبي حالات مرضية جديدة، وأمراضاً لم نكن نسمع بها من قبل.

ولكن لماذا يمرض الإنسان؟ لا شك في وجود عوامل وأسباب طبيعية وتكوينية

للمرض، ولكنها ليست السبب الوحيد في مرض الإنسان وموته، ولذا ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام جوابا منه للزنديق الذي سأله عن المرض قال له الإمام: «تزعم أن من أحسن السياسية لبدنه وأجمل النظر في أحوال نفسه وعرف الضار مما يأكل من النافع لم يمرض.... قد مات أرسطاطاليس معلم الأطباء، وأفلاطون رئيس الحكماء وجالينوس شاخ ودق بصره، وما دفع الموت حين نزل بساحته».

وفي نفس هذه الرواية يذكر الإمام عليه السلام أن المرض على ثلاثة أنواع: مرض بلوى، ومرض العقوبة، ومرض جعل عليه الفناء[1].

- نصب الآفات.

الآفة هي العاهة والتي يصاب بها الإنسان فتعطل له بعض حواسه ولا يتمكن من العيش كسائر الناس، وكل إنسان هو في معرض الإصابة فيها، فلذا كان الإنسان نصبها. أي لا يفارقها.

والآفات هي من الأمور التي يبتلي بها الله عز وجل عباده ليختبرهم فيعرف درجات إيمانهم، ومقدار صبرهم.

- رمية المصائب.

أما الرمية فهي عبارة عما يرمى، فالمصائب تجعل من هذه الإنسان أداة ترمي بها، والمصائب التي تحل على هذا الإنسان عديدة وكثيرة، تعظم أحيانا وتصغر أخرى، ولكنها جميعها تقذف هذا الإنسان إلى حيث لا يحب ولا يريد.

لماذا المصائب والآفات والأمراض ؟

إن في هذه المصائب التي يرمى بها الإنسان حكمة ربانية وقد نص عليها الله عز وجل في كتابه الكريم بقوله: ﴿**مَا كَانَ اللّٰهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ**

---

(١) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى - ج ٩، ص١٢٦.

حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ﴾[1].

ولكن ما هو الموقف الذي على المؤمن أن يسير عليه عندما ترمي به المصائب والابتلاءات؟ إنه الصبر والرضا بقضاء الله عز وجل، وتكرار الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[2] والوعد الذي يصل إليه الإنسان نتيجة ثباته على البلاء على ما ورد في كتاب الله: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ﴾[3].

ثانياً: ماذا نربح من الدنيا ؟

تحدثنا عن كون الإنسان في الدنيا هدفاً للمصائب والابتلاءات، وهذه نظرة لزاوية من زوايا الدنيا، ولكن في الدنيا أيضاً الكثير من الأمور التي يحبها الإنسان ويطلبها، بل ربما يصرف عمره كله في طلبها، فتستحوذ على قلبه ونفسه، فهل لهذه الأمور الدنيوية قيمة حقيقة ؟

ـ تاجر الغرور.

إن الإنسان المتعلق بهذه الدنيا هو كالتاجر الذي يظن الربح فيما يقوم به في هذه الدنيا، فهو يحسب أن ما يقوم به مما فيه مكاسب دنيوية هو أمر خالد وسيبقى، مع أن الدنيا كلها فانية لا بقاء لها. وخير شاهد على كون هذا الشخص ممن اغتر، هو أنه يخاف الموت، وذلك لأنه يرى فيه انقطاع كل ما سعى إليه، وبذل في سبيله كل غال ونفيس.

ومن أفضل الأوصاف لذلك، هذه الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنكم إن رغبتم في الدنيا أفنيتم أعماركم فيما لا تبقون له ولا يبقى لكم»[4].

---

(١) آل عمران: ١٧٩.

(٢) البقرة: ١٥٦

(٣) البقرة: ١٥٧.

(٤) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى - ج ٣، ص ٢٩٧.

ـ حليف الهموم وقرين الأحزان.

الهم يصيب الإنسان عندنا يتملكه القلق والخوف من فقدان محبوب ومرغوب، فالغنـي يحمل هم وخوف الخسارة والفقر، وصاحب المكانة الاجتماعية يحمل هم خسارتها... ويتملكه أيضاً عندما يستهدف تحصيل هذا المحبوب والمرغوب، فهو بيـن هم فقدان مـا لديه لأنه رهينة الأيـام، وهـم تحصيل ما يستهدفـه لأن الدنيا كماء البحر الذي لن يشبع منه ولن يتوقف عند حدود معينة من الطلب، بل سيبقى يركضـ ويلهـث وراء ما لم يحصل عليه حتى الآن...، وهـو قرين الأحزان، لشعوره بالنقص والخسارة، فالذي لا يملك يحزن لأنه لا يملك، والذي يملك ويخسر يحزن لخسارته، والذي لا يملك ولم يخسر بعد يحزن لعدم ملكه ما هو خارج عن يده...

فالإنســان في هذه الدنيا كأنه متحالف مـع الهموم ومقترن مع الأحزان، في أي موقع كان وضمن أي إطار.

ثالثاً: التعلّق بالدنيا

رغم كون الدنيا مـكان المصائب والابتلاءات ورغم كونها لا ربح دنيوياً حقيقياً فيهـا، نجـد أن الكثير من الناس ارتبطوا بهذه الدنيا وتعلقـوا بها بشكل يتنافى مع صفاتها الحقيقية، وكان وصف أمير المؤمنين عليه السلام لهذه العلاقة بعدة عبارات:

ـ عبد الدنيا.

إنـه أعظم وصف لهذا الإنسـان الذي يتعلق بهذه الدنيا، إنـه يتعلق بها إلى حد العبودية لها فهو على استعداد تام للقيام بكل ما يسهّل له سبيل الوصول إلى إدراكها ونيلها.

ولكـن المأسـاة إنه يعبد مـا لا ينفعه إلا بنحو مؤقت، بـل يعبد ما هو في ظاهرة جميـل وفي باطنه قبيح إلـى حد وصف أمير المؤمنين عليه السلام لها بقوله: «جيفة قد افتضحوا بأكلها».

ويصف الإمام علـي عليه السلام هذا الشخص العابد لهذه الدنيا بقوله: «قد خرقت الشهـوات عقله، وأماتت الدنيـا قلبه، وولهت عليها نفسه، فهـو عبد لها، ولمن في يديه شيء منها، حيثما زالت زال إليها، وحيثما أقبلت أقبل عليها...»[١].

وأمـا أفضل وسيلة للتحـرر من هذه العبودية للدنيا فهـي الابتعاد عن لذائذها، وقد ذكر ذلك الإمام الخميني قدس سره في الأربعون حديثا: «إعلم أن ما تناله النفس مـن حظ في هذه الدنيا يترك أثرا في القلب.. وهو السبب في تعلقه بالدنيا، وكلما ازداد التلذذ بالدنيا، اشتد تأثر القلب وتعلقه بها وحبه لها، إلى أن يتجه القلب كليا نحو الدنيا وزخارفها»[٢].

ـ صريع الشهوات.

إنـه الإنسـان المستسلم لشهواته فهـو قد صارعها بنفسه لمّـا دعته إليه، ولكن الغلبـة والنصر كانت للشهوة وللنفس الأمّارة، علـى العقل وعلى النفس المطمئنة، إنـه العقل، متى انهزم أمام الشهـوة أصبح أسيراً، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله: «كم من عقل أسير تحت هوى أمير»[٣].

ويكفـي للإنسان لكي ينصر النفس المطمئنة علـى النفس الأمارة، وليجعل من الشهـوة صريعة، أن يفكر فـي عاقبة الشهوة، وقد ورد عـن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «أول الشهوة طرب، وآخرها عطب»[٤].

رابعاً: الدنيا ممر

إن أجلـى وأوضـح حقيقة للدنيا أنها غير دائمة، وأنهـا زائلة، وأن الإنسان مهما سعى وحصّل فيها واغتر بمفاتنها، فإنه في نهاية الأمر سيتركها بل ويدخل في تلك

---

(١) - نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩.

(٢) - الإمام الخميني، الأربعون حديثا، ص ١٢٣، الحديث السادس.

(٣) - نهج البلاغة، الحكمة ٢١١.

(٤) - غرر الحكم: ٢٧٤٥، ٣١٣٣، ٢٧٤٦

الحفرة الصغيرة نافضاً يديه من كل ما فيها، فالإنسان في الحقيقة هو:

- غريم المنايا وأسير الموت.

إن حال الإنسان مع الموت، هو حال الشخص المديون، الذي حل وقت أدائه للدين، ولكنه يسعى للفرار من الدائن، ويخاف أن يلتقي به. فالموت هو أشد ما يخاف منه الإنسان، وهو الذي يلاحق هذا الإنسان، ﴿**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[1]

- خليفة الأموات

إنها أوجز عبارة تدفع الإنسان لترك التعلق بهذه الدنيا، فإذا فكر الإنسان في أن كل ما يصل إليه كان مع من سبقه وهو ورثه منه، وأما ذلك الميت فقد انقطع عنه، ولم يعد ينتفع بها عرف كيف يحسن التصرف فيه بما يكون نفعه له في يوم القيامة. فالميت يرحل ويرثه حي آخر وهذه سنة البشر منذ أن خلق الله عز وجل آدم وإلى يوم القيامة.

هل الدنيا هدفك النهائي؟

كل هذه الصفات التي أوردها أمير المؤمنين عليه السلام ليصل بنا إلى نتيجة باتت واضحة، خلاصتها أن هذه الدنيا ليست أهلاً لأن تكون هدفاً نهائياً للإنسان، ربما تكون متاعاً يستفيد منه في أيامه هذه، وطريقاً يسلك به إلى آخرته التي تنتظره، ولكنها بالتأكيد ليست الهدف الذي ينبغي على الإنسان أن يدور في فلكه.

وإذا حدد الإنسان هدفه هانت المسيرة بعد ذلك.

(١) - الجمعة: ٨.



- يصف الإمام علي عليه السلام حال الإنسان في هذه الدنيا باعتبار ما يمر عليه فيرى أنه:

أ- غرض الإسقام: والمرض على أنواع ثلاثة: مرض بلوى، ومرض العقوبة، ومرض جعل عليه الفناء.

ب- أسير الأيام: فالأيام تتحكم به فلا يعلم ما سيصير إليه في غده.

ج- رمية المصائب: فهي ترمي به حيث لا يحب ولا يريد.

د- عبد الدنيا: وهو وصف الناس الذين تكون الدنيا هي همهم حتى لو كانت بمعصية الله.

هـ- تاجر الغرور: فهو يظن الربح وينسى عن أن كل ما يناله في هذه الدنيا مصيره إلى الزوال.

و- خليفة الأموات: وهذا ما ينبغي أن يتدبر به الإنسان فكل ما يتنعم به كان في يد من سبقه إلى الموت.



١- ما هي انواع المرض الذي يقع على الإنسان على ما ورد في الرواية واشرح ذلك؟

٢- لماذا يبتلي الله الإنسان بالمصائب والبلاءات؟

٣. كيف يصبح الإنسان عبدا للدنيا؟

٤. ما معنى كون الإنسان صريع الشهوات؟



عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنكم إن رغبتم في الدنيا أفنيتم أعماركم فيما لا تبقون له ولا يبقى لكم».

عنه عليه السلام قوله: «أول الشهوة طرب، وآخرها عطب».



البلاء والثبات على الإيمان

يروى أن أحد العلماء العظام قدس الله اسرارهم الزكية ، أبتلي بالقتر الشديد ، وقد وصل به الأمر إلى الإجهاد والتعب الشديدين بسبب ما أصابه من الجوع والهزال، حتى تداركه أحد المؤمنين ببعض الطعام، أعاد له شيئاً من صحته.

وفي الأثناء دخل عليه أحد رجال الدين يسأله شيئاً من المال. فاستوى العالم المذكور قائماً ودسّ يده في صندوق وضع في كوّة الحجرة، واستخرج منه بعض المال أعطاه للسائل.

ولم يلبث غير قليل حتى دخل عليه آخر كان ينتسب إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، وكانت عليه آثار الحاجة بادية، فأعطاه كما أعطى سابقة.

تعجب بعض الحاضرين، وقال: كيف يكون عندك كل هذا المال، ويحلّ بك ما

حلّ بك من الجوع والفاقة ؟

أجاب العالم: هذه الأموال ليست لي، وإنما هي أمانة وضعها الناس عندي، لكي أوصلها إلى مستحقيها. ولو تصرّفتُ بها لكنت خائناً للأمانة، وإنّ أعظم الخيانة خيانة الأمانة.

الدرس الثاني

حياة القلب

أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ، فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا عَمَّا انْتَقَلُوا، وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا! فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَحِبَّةِ، وَحَلُّوا دِيَارَ الْغُرْبَةِ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ.

تمهيد

لقد اهتمّ الإسلام بقلب الإنسان اهتماماً بالغاً، حتى نزلت الكثير من آيات القرآن الكريم لتشرح أهمية القلب ودوره.

فالقلب هو المعيار المميز بين الإنسان الصالح وغيره، يقول تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾**[1].

وببركة هذا القلب يستطيع الإنسان أن يميّز بين الحق والباطل **﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾**[2].

وأما من أصاب قلبه المرض فإنه سيسلب التوفيق، وسيزداد مرضاً وبعداً عن الله تعالى حتى يصل إلى العذاب الأليم **﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾**[3].

وكذلك من قسا قلبه، فتسلب عنه كل بركة **﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾**[4].

وبالنتيجة فإنه سيخسر آخرته وسيستحق الغضب الإلهي والعذاب الأليم، **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ × خَتَمَ اللّهُ عَلَى**

(١) البقرة:٢٠٤

(٢) آل عمران:٧

(٣) البقرة:١٠

(٤) البقرة:٧٤

قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١)

وأما صاحب القلب الحي فإنه كالأرض الصالحة الزكية التي تثمر فيها أشجار السعادة وتحيى بربيع دائم **﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ × وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾**(٢)

فالقلب إذاً له الكلمة الفصل في مصير سلوك الإنسان في الدنيا ومصيره في الآخرة، وقد علمنا الله تعالى في كتابه الكريم أن ندعو بثبات هذه القلوب على الحق **﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾**(٣)، من هنا كيف نستطيع أن نبعد هذا القلب عن مهالكه، ونؤمّن له ما يحميه ويقوي دوره الصحيح في حياتنا ؟ يكون ذلك من خلال منع أسباب الظلمات، وبعث النور في القلب من جديد، وتقويته في مواجهة الفتن والتحديات.

الأمر الأول: أسباب الظلمات ورفعها:

هناك العديد من الأمور التي تتسبب بالظلمات في القلب، أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته هذه، أو أشارت إليها الآيات القرآنية، لا بد من التعرف عليها لرفعها، والوقوف بوجهها، لما تشكله من خطر على هذا القلب، ومن هذه الأمور:

١ـ حب الدنيا

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾(٤)

(١) البقرة: ٦ - ٧

(٢) التوبة: ١٢٤ - ١٢٥

(٣) آل عمران: ٨

(٤) الكهف: ٢٨

إن التعلق بالدنيا وحبها يفسد القلب، ويجعله ساحة سهلة أمام زمر الشيطان، من هنا لا بد للإنسان المؤمن من أن يقطع هذا التعلق بالدنيا الذي يجعلها هدفاً وغاية بدل الآخرة، وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله «وأمته بالزهادة» فلإماتة هذا الافتتان بالدنيا طريق هو عبارة عن الزهد، والزهد يحصل من خلال المعرفة، أي الإدراك والإيمان بأن هذه الدنيا ليست هي الهدف والغاية، بل هي منقطعة وليست سوى طريق للآخرة، وقد ورد في الرواية عن الإمام علي عليه السلام: «أعرَفُ الناس بالزهادة من عرف نقص الدنيا»[1].

وهناك رواية عن الإمام الصادق عليه السلام يشرح فيها معالم الزهد: «الزهد مفتاح باب الآخرة، والبراءة من النار، وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله، من غير تأسف على فوتها، ولا اعجاب في تركها، ولا انتظار فرج منها، ولا طلب محمدة عليها، ولا عوض منها، بل ترى فوتها راحة وكونها آفة، وتكون أبداً هارباً من الآفة، معتصماً بالراحة»[2].

٢- ارتكاب المعاصي:

سلوك الإنسان يؤثر في القلب أيضاً، فإن كان سلوكاً سيئاً يخالف حكم الله تعالى وإرشادات الإسلام، فإنه سيملأ القلب ظلاماً وحجباً، وهذا ما تؤكده العديد من الآيات القرآنية، كالآيات التالية: **﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**[3]

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾[4]

﴿فأعقبهم فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾[5]

---

(١) - علي بن محمد الواسطي- عيون الحكم والمواعظ- ص ١٢٢.

(٢) - الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى - ج ٢ ص ١١٦٨.

(٣) المطففين: ١٤

(٤) الأعراف: ١٠٠

(٥) التوبة: ٧٧

٣ - ترك الجهاد في سبيل الله

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ × رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾[١].

إن التخلف عن الجهاد في سبيل الله والقعود عن نصرة دينه وترك مواجهة الظالمين، له تبعات خطيرة جداً في الدنيا والآخرة، وما يهمنا الإشارة إليه الآن أثره في القلب، حيث تصرح هذه الآية الكريمة، أن هؤلاء القاعدين المتخلفين عن الجهاد طُبع على قلوبهم. ومن الطبيعي أن الذي يعيد الحياة للقلب، المشاركة في الجهاد،لذلك نجد الإنسان المجاهد أكثر نوراً، وألين قلباً، وأقرب إلى الله تعالى.

٤ - التخلي عن الفرص الإلهية :

إن الله تعالى يوفق الإنسان خلال حياته للكثير من الفرص التي لو استغلها لجعلته أقرب إلى ساحة رضا الله تعالى، وترك الفرص بالإضافة إلى كونه خسارة لفرصة قد لا تعود، هو أيضاً سبب من أسباب موت القلوب وظلامها. يقول تعالى **﴿تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾**

ثانياً: بعث النور في القلب من جديد

للقلب حياة وموت، فكم من إنسان حي ببدنه يعيش في هذه الأرض ولكنه ميت القلب، لا يشعر بالآخرة ولا يرى أمامه سوى هذه الدنيا. وأما لو كان القلب حياً فإن سائر أعضاء هذا الجسد سوف تنبض بالحياة لأنه هو الموجه لها وهي مطيعة له ولذا ورد في رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «القلب ملك وله جنود، فإذا صلح الملك صلحت جنوده، وإذا فسد الملك فسدت جنوده»[٢].

---

(١) التوبة: ٨٦ - ٨٧

(٢) كنز العمال: ١٢٢٣، ١٢٠٥.

إن كل مكان تركته زمر الشيطان، علينا أن نسلط جنود الرحمان عليه من جديد، وكل مكان أزلنا أسباب الظلام عنه، يجب أن نفتح أبوابه أمام شعاع النور.

وبعد أن عرضنا شيئاً من أسباب الظلام وموت القلوب لمنعها، نستعرض أموراً تساعد على بعث النور في القلب وإحياءه من جديد.

١ـ ذكر الله

هـذا الذكر الذي يتجلى ألفاظاً على اللسان هو أيضاً بحقيقته يقين في القلوب، هـذا اليقيـن الذي يقوي القلـب ويبعث فيه النور «قـوه باليقين» **﴿إنمـا المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾**.

واليقيـن: هو درجـة شديدة من الإيمـان، فقد ورد في الروايـة الترتيب التالي: عـن أبـي جعفر عليه السلام: «إنمـا هو الإسـلام، والإيمـان فوقه بدرجـة والتقوى فوق الإيمـان بدرجـة، واليقين فوق التقوى بدرجة، ولم يقسـم بين الناس شيء أقل من اليقين»[1].

مـن هنا نعلم كيف يعطي اليقين قوة القلب لدى هذا الإنسان، إنه الإدراك التام لما يترتب على الأفعال من مصالح ومفاسد، ولذا فإن صاحب اليقين لا يقدم على التجـاوز عن ذلك للمعرفـة التامة. فمن يتيقن بأن النار محرقة لن يقدم على رمي نفسه فيها.

٢ – الحكمة:

«ونوره بالحكمة»: قال تعالى: **﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾**[2]

فالحكمـة أولاً هـي من عند الله، وكل ما كان من عند الله فلا بد وأن يكون خيراً

---

(١) الريشهري محمد ميزان الحكمة دار الحديث، الطبعة الأولى ج ٤ ص ٣٧١٤.

(٢) البقرة:٢٦٩.

لأنه مصدر كل خير، وقد وصف الله عز وجل هذا الخير بأنه كثير، فإذا كان الوصف القرآني له بهذا النحو فهذا يعني أنه من الكثرة ما لا يتصوره الإنسان.

وأما ما هي الحكمة؟ فهذا ما يفسّره الإمام الصادق عليه السلام كما في الرواية: «إن الحكمة المعرفة والتفقه في الدين، فمن فقه منكم فهو حكيم».

وفي رواية لبيان طريق نيل الحكمة، ورد في حديث المعراج: «يا أحمد! إن العبد إذا أجاع بطنه وحفظ لسانه علمته الحكمة، وإن كان كافراً تكون حكمته حجة عليه ووبالاً، وإن كان مؤمناً تكون حكمته له نوراً وبرهاناً وشفاءً ورحمةً، فيعلم ما لم يكن يعلم ويبصر ما لم يكن يبصر، فأول ما أبصره عيوب نفسه حتى يشتغل عن عيوب غيره، وابصره دقائق العلم حتى لا يدخل عليه الشيطان»[١].

٣ـ الموعظة:

في الوصية « أحي قلبك بالموعظة... وذلّله بذكر الموت، وقرره بالفناء. وبصره فجائع الدنيا».

والموعظة هي التذكير بالآخرة وبالمصير الذي لا بد وأن يصل إليه كل إنسان، فإذا سمع ذلك الإنسان لجأ إلى التوبة، وبها حياة القلب، ولذا نقرأ في دعاء الإمام السجاد عليه السلام: «إلهي ألبستني الخطايا ثوب مذلتي، وجللني التباعد منك لباس مسكنتي، وأمات قلبي عظيم جنايتي، فأحيه بتوبة منك يا أملي وبغيتي».

ثالثاً: تقوية القلب

على الإنسان أن يصنع للقلب دفاعات وحواجز تقيه وتحرسه في مواجهة تحديات الدنيا، ويكون ذلك من خلال بعض الأمور التي أشار إليها الإمام عليه السلام في وصيته:

(١) الريشهري محمد ميزان الحكمة دار الحديث، الطبعة الأولى ج ١ ص ٦٧٣

١ – التذكير:

« اعرض عليه أخبار الماضين، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين، وسر في ديارهم وآثارهم».

تتضمن هذه الكلمات بيانا لأفضل طريق يمكن أن يسلكه الإنسان في تربية النفس في حالاته كافة، فإن كان غنياً قد أنعم الله عليه، ونظر إلى من كان قبله من الأغنياء والمترفين من الأمم السالفة علم أن مصير ذلك كله إلى زوال. وإن كان فقيراً أو مبتلى علم بأن هذه الدنيا لا تدوم لأحد ولم يكن الخلود نصيب أحد فيها.

قال تعالى: **﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾**[١]

إن لله في الأمم سننا لا تختص بهم، بل هي قوانين وسنن عامة في الحياة تجري على الحاضرين كما جرت على الماضين سواء بسواء، وهي سنن للتقدم والبقاء، وسنن للتدهور والانحدار، التقدم للمؤمنين المجاهدين المتحدين الواعين، والتدهور والانحدار للأمم المتفرقة المتشتتة الكافرة الغارقة في الذنوب والآثام.

وفي موضع آخر من نهج البلاغة يقول الإمام علي عليه السلام:

«واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات بسوء الأفعال، وذميم الأعمال، فتذكروا في الخير والشر أحوالهم، واحذروا أن تكونوا أمثالهم فإذا تفكرتم في تفاوت حاليهم فالزموا كل أمر لزمت العزة به شأنهم وزاحت الأعداء له عنهم، ومدت العافية به عليهم، وانقادت النعمة له معهم، ووصلت الكرامة عليه حبلهم من الاجتناب للفرقة واللزوم للألفة والتحاض عليها، والتواصي بها، واجتنبوا كل أمر كسر فقرتهم وأوهن منتهم، من تضاغن القلوب، وتشاحن الصدور وتدابر النفوس، وتخاذل الأيدي...»[٢]

---

(١) آل عمران: ١٣٧.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢

٢ – التحذير:

«وحذره صولة الدهر وفحش تقلّب الليالي والأيام»: لا يعيش الإنسان في حياته بدوام السرور بل تتقلب به الأيام وتعصف به يميناً ويساراً، فتارة يكون بأتمّ الصحة وأخرى تجده يعاني الأمرين من المرض، وتارة تجده غنياً موفور النعمة وأخرى تجده فقيراً معدماً، وهكذا... تتقلب به الأيام من حال إلى حال، وهذا الاختلاف يصفه أمير المؤمنين بأنه يكون فاحشاً، أي كبيراً وعظيماً، لا يسيراً وسهلاً.

والإمام يدعو لتربية النفس على تحمّل هذه التقلبات التي يصاب بها الإنسان، بنحو لا تخرجه عن طاعة الله إلى معصيته أو عن الإيمان إلى الكفر.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «ما أعطي عبد من الدنيا إلا اعتبارا، وما زوي عنه إلا اختبارا»[١].



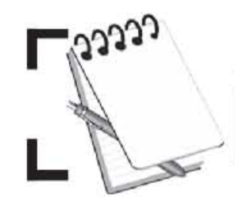
خلاصة الدرس

- الموعظة: هي التي يحيا بها القلب، وهي التذكير بالآخرة وبالمصير الذي لا بد وأن يصل إليه كل إنسان، فإذا سمع ذلك الإنسان لجأ إلى التوبة وبها حياة القلب.
- لإماتة القلب عن التعلق بالدنيا طريق آخر وهو عبارة عن الزهد في الدنيا وترك التعلّق بها.
- **بيان طرق إحياء القلب:**

أ- اليقين: يعطي اليقين قوة القلب لدى هذا الإنسان، لإنه الإدراك التام لما يترتب على الأفعال من مصالح ومفاسد.

ب- الحكمة هي المعرفة والتفقه في الدين.

(١) الكليني الكافي – دار الكتب الإسلامية، آخوند بالطبعة الثالثة – ابن بابويه – علي – فقه الرضا – مؤسسة أهل البيت: ج٢ / ص ٢٦١ / حديث ٦



أسئلة حول الدرس

١ـ ما المراد من حياة القلب؟ وكيف تكون حياته؟

٢ـ ما هو اليقين؟ وكيف يعطي قوة للقلب؟

٣ـ ما المراد من الحكمة؟ وكيف وصفها الله عز وجل في كتابه؟

٤ـ ما هي فائدة التعرض لأخبار الماضين؟



للحفظ

يقول الله تعالى في محكم آياته:

﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾ (١)

(١) آل عمران/٧



من أخبار العلماء الماضين

يقول أحد العلماء: لقد كنت أؤمن بوجود التقوى كنظرية في بطون الكتب فقط، وكنت أنكر وجودها على صعيد الواقع العملي في هذا الزمن الرديء، الذي طغت على الناس فيه مظاهر المادة والمنكر والفساد، واعتادت فيه بطونهم وأنظارهم على الحرام ومشاهده.

كان هذا هو اعتقادي، إلى أن قيّض لي أن عاشرت رجلين اثنين بدّلا تفكيري، وقلّبا ذلك الاعتقاد عندي. أحدهما في مدينة قم المقدسة وهو الشيخ أبو القاسم، والآخر في مدينة النجف الأشرف وهو السيد مرتضى الكشميري.

ثم ذكر العالم المذكور بعض أحوال الشيخ أبي القاسم فقال: ذات ليلة، أرسل «صمصام» رئيس شرطة قم كيساً فيه مبلغ كبير من المال إلى الشيخ، غير إن الشيخ رفض تسلّم المبلغ، وأمر ابنه أن يعيده.

ولما أن رأى من ابنه الممانعة في رده، والتعذر بأنهم في أمس الحاجة إلى ذلك المال، قال له الشيخ إن الله سبحانه، قد منّ علينا - يا ولدي - بالعقل. وهذا المال هو في أحسن الأحوال دَيْنٌ وجَميلٌ للقوم علينا. وأنت تعلم أنهم لايعطون شيئاً من دون مقابل، ولعلهم يطلبون منا أشياء فيما بعد، لا يجوز لنا أن نلبيها لهم.

فاقتنع الابن وأعاد الأموال إلى مرسلها.

ومما ذكر العالم المذكور في حق الشيخ إنه كان يمر على باب دار الشيخ عبد الكريم الحائري «مؤسس الحوزة العلمية في قم» ويقول: « إن النظر إلى باب داره ثواب، والحضور في درسه ثواب ».

ولــم يكن الشيــخ أبو القاسم يتصرف في سهم الإمــام عليه السلام ، مع ما كان عليه مــن ضعف الحال، وضيق ذات اليد، إلى درجــة أنه لم يكن يجد - أحياناً - ما يأكله، كما نقل أولاده.

وحينمــا تــدرّ عليــه السمــاء برزقهــا تجده لا يدخــر وسعــاً في دعــوة الفقراء والمحتاجيــن ليشاركوه في سرائــه ونعمته.. ثم يشكــر الله سبحانه على رزقه وما أجراه من الخير على يديه.

وممــا ذكــره بعضهم فــي أحواله إنه كان يكــنّ احتراماً فائقــاً وواضحاً لزوجته الكريمة، وذلــك بسبب انتسابها إلــى الرســول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم ، ففي السرّاء كان يغدق عليهــا فــي العطاء، وفي الضــراء كان يطعم نفسه رغيف الشعير مــن أجل أن تهنأ زوجته برغيف الحنطة.

الدرس الثالث

النصيحة وضرورة استماعها

«بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، أَوْ أَنْ أُنْقَصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ. وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ. فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ، وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ، لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَؤُونَةَ الطَّلَبِ، وَعُوفِيتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، وَاسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ.

تمهيد

النصيحة هي من أهم ما يمكن أن يهديه الإنسان لأخيه المؤمن، فهي تصدر عنه من خالص المحبة ولذا ورد في الحديث: «ناصحك مشفق عليك، محسن إليك، ناظر في عواقبك، مستدرك فوارطك، ففي طاعته رشادك، وفي مخالفته فسادك»[(١)]، والنصيحة إن جاءت من الأب لولده كانت أزيد شفقة ومحبة من النصيحة التي تأتي من غيره، والإمام عليه السلام في الوقت الذي يوجه النصيحة لولده الإمام الحسن عليه السلام، يمهّد لذلك بذكر الأسباب التي دعته إلى اختيار ذلك الوقت لأجل توجيه النصيحة لولده، مبيّنا أنه لو تأخر في أداء تلك النصيحة عن ذلك الوقت، فإن ذلك سوف يؤدي إلى ضياع النصيحة، لأنها سوف تتأخر عن وقتها الذي كان ينبغي أن تؤدى فيه، ولذا يشير الإمام إلى موانع الاستماع إلى النصيحة.

والنصيحة والأدب هما من التربية الواجبة على الأهل، ومن حق الطفل على أبيه أن يحسن أدبه وتربيته. وهذا ما ورد في كتاب الله عز وجل حيث قال: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾**[(٢)]

فقد ورد في الرواية أنه عليه السلام: لما نزلت الآية، قال الناس: كيف نقي أنفسنا وأهلنا؟ قال: اعملوا الخير وذكّروا به أهليكم وأدبوهم على طاعة الله[(٣)].

موانع الاستماع إلى النصيحة

أ- «يسبقني إليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا».

إنها مسابقة بين الدعوة إلى الحق والدعوة إلى الباطل، فالشاب في مقتبل العمر إذا لم تؤد له النصيحة في وقتها وسبقت دعوة الباطل دعوة الحق لتطرق مسامع

---

(١) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى- ج ٤ ص ٣٢٧٩

(٢) التحريم: ٦

(٣) المحقق النوري- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل- مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث- الطبعة الأولى-: ١٢ / ٢٠١ / ١٣٨٨١ و ح ١٣٨٨٢

أذنه، وتتحدث مع شغاف قلبه، فإنه سوف يبتعد عن الاستماع إلى النصيحة، وسوف يكون التقصير من الأهل الذين لم يبادروا إلى ذلك.

وقد بيّن الإمام سبب ذلك، وهو أن الشاب في أوائل شبابه يشعر بفراغ يحتاج إلى أن يملأه ويبادر إلى ملئه بما يجده في متناوله، ولذا قال عليه السلام: «إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما القي فيها من شئ قبلته».

ب- «فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك».

الخطوة التي تلي النصيحة هي الأدب، والأدب مرحلة أشد من النصيحة، لأنه يتضمن بعض الأساليب التي تحمل نوعا من الفرض والعقوبة مع فرض التخلف عن ذلك والمعصية، وهذه المرحلة لها أيضا وقتها الذي ينبغي أن يبادر الأهل إلى أدائها في ذلك الوقت وعدم تأخيرها بنحو لا يعود من الأدب نفع ولا فائدة.

والمانع من تأثير النصيحة كما يذكر الإمام عليه السلام ذلك في هذه الرواية هو قسوة القلب.

ولقسوة القلب أسباب عديدة ومن هذه الأسباب أن يعيش الإنسان طول الأمل، والشاب في مقتبل العمر مُعرّض لأن يرى من نفسه القوة والقدرة على كل شيء، وأن ينظر إلى الناس من حوله فلا يرى لهم من حق عليه سوى أنه أقدر منهم وأقوى على نيل ما يريد وهذا الأمر يورث قسوة القلب، ففي الرواية، فيما ناجى الله عز وجل به موسى عليه السلام: «يا موسى، لا تطول في الدنيا أملك فيقسو قلبك»[1].

ج- ويشتغل لبك

المانع الثالث من الاستماع إلى النصيحة هو أن يكون الشاب في حداثة سنه ومقتبل عمره حاملا لهمّ ما، كما لو كان يطلب الوصول إلى غاية من الغايات ويسعى للوصول إليها مهما كلفه ذلك، فإن ذلك سوف يكون مانعا من الاستماع إلى

---

(١) الكليني، الكليني- الكافي- دار الكتب الإسلامية، آخوندي- الطبعة الثالثة - ابن بابويه- علي- فقه الرضا- مؤسسة أهل البيت: ٢ / ٣٢٩.

النصيحة، فهو ونتيجة حرصه على الوصول إلى غايته سوف يطلب أسرع الطرق والتي قد لا تكون مضمونة، ولو وجهت إليه النصائح المتتالية بأن هذا الطريق يضر به ولا يفيده فإنه لن يبادر إلى الاستماع إلى النصيحة.

ثمرة النصيحة

١ـ «لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته».

إن من أهم فوائد النصيحة هي أن يتحرز الإنسان عن الوقوع في الخطأ، فإذا وقف الإنسان أمام خيارات متعددة وبدل أن يخوض غمار التجارب والتي قد تكون فاشلة وفيها الخسارة، يعتبر بمن سبقه من الناس إلى تجربة تلك الطرق، وبهذا يأمن الوقوع في الضرر، وهذه هي فائدة النصيحة.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «التجارب علم مستفاد»[1].

إذا الثمرة الأولى هي الإحاطة بالأمر واختيار الأفضل.

٢ـ «فتكون قد كفيت مؤونة الطلب».

وهنا يشير الإمام عليه السلام إلى الثمرة الثانية للاستفادة من نصيحة الآخرين، وهو أن أصحاب التجربة إذا أشاروا إليك في أمر من الأمور، فعملت بنصيحتهم في فعل أو في ترك، جعلوك في راحة من أن تسعى لترى ذلك بنفسك، فخففوا عنك أعباء قد تضطر إلى تحملها لو أردت تجربة ذلك بنفسك، وحفظوا لك وقتك وطاقاتك لتستنفذها في مكانها المثمر ثماراً جديدة.

٣ـ «عوفيت من علاج التجربة».

الوقاية خير من العلاج كما يقال، وهذه هي الثمرة الثالثة من الأخذ بالنصيحة، إنها الوقاية من الوقوع في الداء الذي يحتاج إلى علاج. والتجربة إذا خاضها

(١) غرر الحكم: ١٠٣٦.

الإنســان بنفســه قــد توقعه في أمــر لا بد له فيه مــن العلاج، ولكنه لــو اعتمد على تجــارب الآخريــن أمــن من الضــرر. وقد ورد عــن أمير المؤمنيــن عليه السلام: «ثمرة التجربة حسن الاختيار»[1].

٤ـ «فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه».

الثمــرة الرابعة من الرجوع إلى النصيحــة أن يصل الإنسان إلى ما يريده بيسر وسهولــة، فمــن سبقنا إلى الأمر قد تجشم العناء في الوصــول إليه، والسعي لنيله، وأما نحن فيصلنا صافيا وفي معافاة من أمرنا.

٥ـ «واستبان لك ما ربما أظلم علينا منه».

الثمرة الخامسة هي في أن الصورة لدينا تكون أوضح وأجلى، فإننا متى شاهدنا التجارب التــي خاضها الآخرون، ولاحظنا حجم المعاناة التــي عانوا منها فأخذنا بالتجارب المتعددة، والصور المختلفة التي يحكيها أصحاب التجارب، ونصائحهم التي ينظر فيها كل واحد منهم إلى جهة من الجهات، اجتمعت لدينا جهات متعددة من النظر والرأي، وهذا يؤدي إلى تكوين صورة أفضل وأجمع وأشمل.



ـ النصيحــة للإخــوان تنطلق من المحبة لهم، وللنصيحــة وقتها الذي ينبغي أن تؤدى فيه.

ـ أسباب التعجيل بالنصيحة:

أ ـ الحذر من سبق دعوة الباطل.

ب ـ الحذر من الابتلاء بقسوة القلب.

---

(١) غرر الحكم: ٤٦١٧

ج ـ اشتغال البال.

وأما ثمرة النصيحة فهي:

أ ـ الابتعاد عن الوقوع في الخطأ من خلال ملاحظة تجارب الآخرين.

ب ـ التخفيف على الإنسان من عبء التجربة.

ج ـ عدم الوقوع في مضار التجربة.

د ـ نيل المطلوب بيسر وسهولة.



١ـ كيف تفسّر قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾؟

٢ـ كيف تشكل قسوة القلب عاملا مانعا من الاستماع إلى النصيحة؟

٣ ـ اذكر واحدة من فوائد الاستماع إلى النصيحة؟

٤ـ كيف تفسر قول الإمام عليه السلام : فاستبان لك ما ربما أظلم علينا منه؟



فيما ناجى الله عز وجل به موسى عليه السلام : «يا موسى، لا تطول في الدنيا أملك فيقسو قلبك».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : «التجارب علم مستفاد».

وعنه عليه السلام : «ثمرة التجربة حسن الاختيار».



النصح بالعمل سيرة أهل البيت عليهم السلام

كتب زرارة بن أعين، وعبد الله بن بكير، ومحمد بن مسلم، وأبو بصير وآخرون إلى الإمام الصادق عليه السلام يتبرّمون له من تصرفات المفضّل بن عمرو الجعفي، وذلك لما لاحظوه على المفضَّل من معاشرة بعض الأشخاص غير الملتزمين، مثل شاربي الخمر، واللاعبين بالطيور. وتمنّوا على الإمام عليه السلام أن يكتب إليه رسالة ينهاه عن أعماله غير اللائقة تلك.

وهكذا كان، فكتب الإمام الرسالة وختمها، ثم سلَّمها إليهم، وأوصاهم أن يسلّموها إلى المفضَّل.

وفي الكوفة فضَّ المفضّل الرسالة، وتلاها عليهم، ففوجئوا بأن الإمام عليه السلام لم يأت على ذكر طلبهم لا من قريب ولا من بعيد. وإنما وجدوا الإمام فيها يأمر المفضّل بشراء أشياء تحتاج إلى مبالغ طائلة.

قال لهم المفضل: علينا أن نتعاون في جمع المبلغ.

قالوا: إن ذلك يحتاج إلى الوقت.. وإلى العمل الحثيث.

ثم عزموا الخروج، لكن المفضَّل استوقفهم ودعاهم لتناول طعام الغداء معه. وعلى الأثر أرسل شخصاً في طلب عدد من الذين شكوا المفضَّل بسببهم.

وحينما حضروا عرض عليهم المفضَّل الأمر، فاستأذنوا في الخروج، وعادوا بعد قليل ومعهم عشرة آلاف درهم هي المبلغ المطلوب، ثم سلموها للمفضَّل والحضور يشهدون.

وعند تناول الطعام توجه المفضَّل نحو أصحابه وهو يقول: أفكنتم تريدون أن

أترك أشخاص كهؤلاء، فأعجز عن أداء الأمور الضرورية.

عنــد ذلك تبين للقوم مغــزى قصد الإمام عليه السلام من وراء كتابه، وهو إعلامهم بــأن القائد بحاجــة إلى جميع أصناف النـاس، مادام دينه فــي مأمن من الخطر والزلــل، وإن معاشــرة المفضّل لأولئــك كان من الصواب والحكمــة، وهو مؤيد في ذلك من الإمام عليه السلام.

الدرس الرابع

حال المؤمن في الدنيا

«إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ، نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ، فَأَمُّوا مَنْزِلاً خَصِيباً وَجَنَاباً مَرِيعاً، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ الْمَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذلِكَ أَلَماً، وَلاَ يَرَوْنَ نَفَقَةً مَغْرَماً، وَلاَ شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ. وَمَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلاَ أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ، إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ، وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ».

تمهيد

يصف الإمــام عليه السلام في وصيته هذه لولده حال الإنسان المؤمن وحال الإنسان الكافر في هذه الدنيا وكيف يعيش كل منهما.

حال المؤمن

- «قوم سفر نبا بهم منزل جديب فأموا منزلاً خصيباً وجناباً مريعاً»

المؤمن في هذه الدنيا والذي يكون همه الآخرة، هو كالمسافر الذي أراد السفر مــن أرضــ قاحلة جدباء لا نبات فيهــا ولا ثمر - كناية عن الدنيــا - إلى أرض مثمرة وخصبــة - كناية عن الآخــرة - ويعاني المؤمنون في سفرهم هــذا الصعاب ولكنهم يملكون القدرة على تحمل ذلك لأنهم يريدون الوصول إلى حيث النعم الوافرة.

وتشبيه حال الإنسان في هذه الدنيا بالمسافر، ورد في العديد من الروايات:

فعن الإمام علي عليه السلام: «إن الله سبحانه قد جعل الدنيا لما بعدها، وابتلى فيها أهلها، ليعلم أيهم أحسن عملا، ولسنا للدنيا خلقنا، ولا بالسعي فيها أمرنا»[1].

وعــن الإمام علي عليه السلام: «هؤلاء أنبياء الله وأصفيــاؤه تنزهوا عن الدنيا... ثم اقتص الصالحــون آثارهم... وأنزلوا الدنيا من أنفسهم كالميتة التي لا يحل لأحد أن يشبــع منهــا إلا في حال الضــرورة إليها، وأكلوا منها بقدر مــا أبقى لهم النفس وأمســك الــروح، وجعلوها بمنزلة الجيفة التي اشتد نتنها، فكل من مر بها أمسك على فيه، فهم يتبلغون بأدنى البلاغ...»[2]

ولذا يصف الإمام حال المؤمن بالتالي:

١- «احتملوا وعثاء الطريق»

الدنيــا محفوفــة بالمخاطر والمصاعــب، وهذه المخاطر ليســت هي خصوص المخاطر المادية أو الابتلاءات الجسدية، بل من أعظم هذه المخاطر هو الاغترار

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٥

(٢) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء ،الطبعة الثانية المصححة: ج ٧٣ / ص ٩٠ / حديث ٦١

بهـذه الدنيا، فهي تزيـن نفسها للناس، وتدعوهم إليها، وترغبهـم بها، وأشدهم مقاومة لها هو الذي ينتصر عليها، وأعظم تشبيه ورد في وصف صعوبة هذه الدنيا، هـو وصفها بالسجن، ففي رواية عـن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «الدنيا لا تصفو لمؤمن، كيف وهي سجنه وبلاؤه».

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «مثل الدنيا مثل ماء البحر، كلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله»[١].

وعـن الإمام الباقـر عليه السلام أنه قال: «الجنـة محفوفة بالمـكاره والصبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات، فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار»[٢].

٢ـ وفراق الصديق.

ورد فـي الحديث عـن أميـر المؤمنين عليه السلام: «أيهـا النـاس لا تستوحشوا في طريـق الهدى لقلة أهله، فإن الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير، وجوعها طويل»[٣].

المؤمـن في هذه الدنيا غريـب، لا يرى صديقا يسير معه فـي هذا الطريق لأنه طريـق معانـاة ومشقة. وعدم وجـود رفيق لهـذا الإنسان في سفره هـذا يزيد من مشقته ويجعله يعاني المزيد من الصعاب، ولكنه مع ذلك يصبر في سبيل الوصول إلى الآخرة والمستقر الأبدي.

٣ـ وخشونة السفر

إذا علـم المؤمـن أن هـذه الدنيا هي دار ممر وأنه في سفـر، علم أنه لا قرار له

(١) الحراني - ابن شعبة - الوفاة: ق ٤ - تحف العقول - الطبعة: الثانية - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة: ٣٩٦

(٢) الكليني - الكافي - دار الكتب الإسلامية ،آخوندي - الطبعة الثالثة - ابن بابويه - علي - فقه الرضا - مؤسسة أهل البيت - الشيخ الكليني - ج ٢ ص ٩٠

(٣) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٢ ص ١٨١

فيهـا، وتحمل ما فيها مـن خشونة وصعاب، وقد ورد عـن رسول الله صلى الله عليه وآله : «كن في الدنيا كأنك غريب، أو كأنك عابر سبيل، وعد نفسك في أصحاب القبور»[١].

وعن الإمام علي عليه السلام قال: «إن الدنيا دار خبال ووبال، وزوال وانتقال، لا تساوي لذاتها تنغيصها، ولا تفي سعودها بنحوسها، ولا يقوم صعودها بهبوطها»[٢].

٤ـ «وجشوبة المطعم»

الطعـام الجشـب هـو الطعام الغليـظ الذي لا تميـل إليه النفسـ ولا ترغب به. والمؤمـن وإن كان يستفيـد من هذه الدنيا ولا ينسى نصيبه منها، ولكن هذه الأمور مـا دامت ليست هدفـاً له، فإنها لا تحتل الأولوية أمـام أهدافه الحقيقية، وبالتالي فهو يصبر على تركها إذا وقفت عائقاً أمامه لتحصيل رضا الله تعالى.

وكثـرة الطعام توقع صاحبها فـي الابتعاد عن الله عز وجل، وقد ورد في الرواية عـن الإمـام الصادق عليه السلام : «ليس شيء أضر لقلب المؤمـن من كثرة الأكل، وهي مورثة لشيئين: قسوة القلب، وهيجان الشهوة»[٣].

إن الطعام متى كان من الملاذ تناول الإنسان منه ما يزيد عن حاجته فابتلي بكثرة الأكل، وأما لو كان الطعام من غير ما تميل إليه النفس وتلتذ به فإنه سوف يكتفي منه بقدر الحاجة، ومن الروايات المحذرة من كثرة الطعام، ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله : «إياكم والبطنة، فإنها مفسدة للبدن ومورثة للسقم ومكسلة عن العبادة»[٤].

٥ـ رضا النفس عند المؤمن

ليأتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم فليس يجدون لشيء من ذلك ألما ولا يرون نفقة فيه مغرما ولا شيء أحب إليهم مما قربهم من منزلهم وأدناهم من محلتهم.

---

(١) الطوسي – محمد بن الحسن – الوفاة: ٤٦٠- الأمالي - دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم: ٣٨١ / ٨١٩

(٢) غرر الحكم: ٣٤٨٠، ١٢٠٦، ٤٠٩

(٣) المحقـق النوري – مستـدرك الوسائل ومستنبط المسائل- مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث -الطبعة الأولى –: ١٢ / ٩٤ / ١٣٦١٥.

(٤) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء ،الطبعة الثانية المصححة: ٦٢ / ٢٦٦ / ٤١.

بعد أن أوضح الإمام عليه السلام حال المؤمن في هذه الحياة الدنيا، أراد بيان حالة الرضا عند المؤمن بما هو عليه، فالمؤمن لا يتحمل كل هذه الصعاب والمشقات وهو مكره عليها، بل يؤديها وهو شاكر لله عز وجل وراض بما يقوم به، لأنه لا يشعر بالألم ولا بالخسارة في فعل كل ما يقربه إلى مقصوده الأساسي، ألا وهو رضا الله عز وجل، والفوز بالجنة. بل إن هذه المصاعب والمشقات أحب إليه من الرخاء والهناء إذا كانت من أسباب القرب إلى نيل مراده. ولذا يصفهم أمير المؤمنين عليه السلام أيضا بقوله: «صبروا أياما قصيرة أعقبتهم راحة طويلة. تجارة مربحة يسرها لهم ربهم. أرادتهم الدنيا فلم يريدوها. وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها»[1].

حال الكافر المغترّ بهذه الدنيا

«ومثل من اغتر بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب فنبا بهم إلى منزل جديب»

إنها صورة معاكسة لحال المؤمن، فالدنيا هي جنة الكافر، فهو يرى نفسه في سفر ولكنه في سفر من النعيم إلى الجحيم. وهذا ما يفسره لنا كراهة الموت لدى هذا الإنسان، فمن لم يضع نصب عينيه سوى هذه الدنيا فإنه سوف يرى في فنائها فناءه، وفي زواله نهاية كل شيء لديه، وعن لإمام الحسن عليه السلام: «أعظم سرور يرد على المؤمنين إذ نقلوا عن دار النكد إلى نعيم الأبد، وأعظم ثبور يرد على الكافرين إذ نقلوا عن جنتهم إلى نار لا تبيد ولا تنفد»[2].

إنهم ولشده حبهم لهذه الدنيا يصعب عليهم فراقها، بل هو من أصعب ما يعانون منه، ولذا وصفهم الإمام عليه السلام بقوله: «فليس شيء أكره إليهم ولا أفظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه ويصيرون إليه».

وعن الإمام زين العابدين في وصف حال الموت وفراق الدنيا للمؤمن وللكافر يقول عليه السلام: «للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة، وفك قيود وأغلال ثقيلة، والاستبدال

---

(١) - نهج البلاغة، خطبة المتقين.

(٢) - الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى - ج ٤ ص ٢٩٥٩

بأفخر الثياب وأطيبها روائح، وأوطئ المراكب، وآنس المنازل، وللكافر كخلع ثياب فاخـرة، والنقل عن منـازل أنيسة، والاستبـدال بأوسخ الثيـاب وأخشنها، وأوحش المنازل، وأعظم العذاب»[1].



- المؤمـن في هذه الدنيا عبارة عن مسافر، يتحمـل المشاق بغرض الوصول إلى المكان الذي يريده.
- المصاعب التي قد يتعرض لها المؤمن هي عبارة عن تحمّل وعثاء الطريق، وفـراق الصديق، ومشاق السفر، وأكل الطعـام الذي لا ترغب به النفس. والمؤمن يُقدم على تحمّل ذلك مع رضا من نفسه بذلك.
- حال الكافر في هذه الدنيا حال من يريد الرحيل من النعيم إلى الجحيم.



١. ما هو مراد الإمام الباقر عليه السلام من كون الجنة محفوفة بالمكاره؟

٢. كيـف يشـكّل الإيمـان بالآخـرة عاملا مساعـدا للمؤمـن على تحمّـل مشاقّ الدنيا؟

٣. لماذا يقدم الإنسان على تحمّل الصعاب وهو في حال رضا من النفس؟

٤. لماذا يشق على الكافر الانتقال من هذه الدنيا إلى الآخرة؟

---

(١) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى - ج ٤ ص ٢٩٥٩



عن الإمام علي عليه السلام : «إن الله سبحانه قد جعل الدنيا لما بعدها، وابتلى فيها أهلها، ليعلم أيهم أحسن عملا، ولسنا للدنيا خلقنا، ولا بالسعي فيها أمرنا».

وعنه عليه السلام : «هؤلاء أنبياء الله وأصفياؤه تنزهوا عن الدنيا... ثم اقتص الصالحون آثارهم... وأنزلوا الدنيا من أنفسهم كالميتة التي لا يحل لأحد أن يشبع منها إلا في حال الضرورة إليها، وأكلوا منها بقدر ما أبقى لهم النفس وأمسك الروح، وجعلوها بمنزلة الجيفة التي اشتد نتنها، فكل من مر بها أمسك على فيه، فهم يتبلغون بأدنى البلاغ...»



تعلق القلب بالدنيا

كان المرحوم الشيخ أحمد النراقي قدس سره من العلماء الأجلّاء والأغنياء الموفوري الحال، كان له في ما يملك بستان واسع زاخر بالخيرات والنعم.

وذات يوم التقاه صوفي، عند دخوله الحمام. قال الصوفي للنراقي: كيف تدّعي لنفسك الزهد والدين، ولك ما لك من الأملاك مما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين؟!

فلم يجبه النراقي، حتى إذا فرغا من الحمّام توجه إلى صاحبه قائلاً: أيّها المرشد ! هل ذهبت إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء ؟

أجاب الصوفي بالنفي، فدعاه النراقي لصحبته إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام

وافق الصوفي وانطلقا معاً، وبعد عدّة خطوات طلب الصّوفي من النراقي أن يمهله عدّة لحظات حتى يعود !

قال النراقي: لماذا ؟

قال الصوفي بعد أن ضرب يده بالأخرى: لقد نسيت كشكولي في الحمّام، ولابّد أن أصحبه معي.

قال النراقي: أيها الصوفي، إنك شهدت بأن لي ثروة طائلة، وأموالاً كثيرة، لكنني أودعتها عند ربّي حينما عزمت على السفر إلى العتبات المقدّسة، وأخرجت حبّها من قلبي، وأما أنت فلم تستطع أن تترك كشكولاً واحداً ولم تملك أن تنزع حبّه من قلبك، فإن الزهد ـ كما عن الإمام علي عليه السلام ـ «أن لا يملكك شيء لا أن لا تملك شيئاً».

الدرس الخامس

قواعد التعامل مع الناس

«يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلاَ تَظْلِمْ كَمَا لاَ تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَ اسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ، وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ. وَاعْلَمْ، أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ، وَآفَةُ الْأَلْبَابِ. فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ، وَلاَ تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ»

القاعدة العامة في المعاملة

اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك.

بهذه الكلمات المختصرة والموجزة يبيّن الإمام علي عليه السلام الطريقة الصحيحة في التعامل مع الناس، وهي طريقة العدل والإنصاف، بأن تجعل نفسك معيارا بينك وبين الآخرين.

وقد وردت العديد من الروايات في آداب التعامل مع الناس، وأفرد العلماء في كتب الحديث بابا خاصا تحت عنوان «آداب العشرة» بينوا فيه الطرق العامة لمعاشرة الناس وحسن المعاملة معهم بالنحو الذي يعكس فيه المؤمن التعاليم الصحيحة.

وقد قرن الله عز وجل الأمر بعبادته وتوحيده بالأمر بالإحسان إلى الناس سواء ما ارتبط بالوالدين أو بالأصحاب قال تعالى: **﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾**[١].

ـ تطبيقات القاعدة

بعد أن ذكر الإمام عليه السلام هذه القاعدة العامة في العشرة، ذكر بعض التطبيقات لهذه القاعدة، والتي من خلال سلوكها يتمكن الإنسان من اتباع تعاليم الإسلام:

أ ـ أحبب لغيرك ما تحب لنفسك.

لكل إنسان طريقة خاصة في التعامل معه، فكما تحب أن يعاملك الآخرون عليك أن تلجأ إلى التعامل معهم. وهذا لا يختص بالأخ أو بالصديق بل يشمل الناس كافة، فأنت تحب من أخيك وصديقك أن يخلص لك في صداقته بأن يبذل لك كل ما

---

(١) - النساء: ٣٦

تطلبه منه من مال أو خدمة، فعليك ان تبادله ذلك، بأن تبذل له ما يطلبه منك.

وأنت كذلك تحب من عدوك ومن قامت الخصومة بينك وبينه أن يعاملك بالعدل والإنصاف بأن لا يتجنّى عليك ولا يتهمك بهتانا مهما كانت عداوتك معه، فعليك ان تعامله بذلك، بأن تظهر عداوتك له في ظلمك به ولا تتعدى عن ذلك فتتهمه بما لم يفعله أو تتقول عليه بما لم يقله.

وأما سائر الناس فإن غاية ما تحبه منهم هو أن يقابلوك بوجه رحب وطليق، وان يبادروا إلى إلقاء التحية عليك، وإظهار الاحترام لك، فبادرهم بذلك، فرحّب بهم، وبادرهم بالتحية، وتعامل معهم باحترام.

وهذا ما ورد في الرواية عن الإمام علي عليه السلام : «ابذل لأخيك دمك ومالك، ولعدوك عدلك وإنصافك، وللعامة بشرك وإحسانك»[١].

ب ـ اكره له ما تكره لها.

وكما هو الحال في الحب، كذلك الحال في الكره والبغض، فكل ما تكرهه لنفسك عليك ان تكرهه للآخرين. فإذا كنت تكره أن يتحدث عنك الآخرون بالسوء فعليك أن تتجنب الحديث عنهم بالسوء. وإذا كنت تكره أن يأخذ الآخرون حقا من حقوقك فعليك أن تحذر من الأخذ بحقوق الآخرين.

فالقاعدة التي تحكم علاقة الاخوان تتضمن نوعا من المبادلة، ولذا ورد في الرواية عن الإمام الهادي عليه السلام : «لا تطلب الصفا ممن كدرت عليه، ولا النصح ممن صرفت سوء ظنك إليه، فإنما قلب غيرك لك كقلبك له»[٢].

فغيرك ينظر إليك ويعاملك كما تعامله، فإن كنت تكره منه أمرا فلا تعامله به.

ج ـ لا تظلم كما لا تحب أن تظلم.

إن أكثر ما يمكن أن يقع فيه الإنسان هو ما يكون فيه ظلم للغير. فليضع الإنسان

---

(١) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء ،الطبعة الثانية المصححة: ج ٧٨ / ص ٥٠.

(٢) المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء ،الطبعة الثانية المصححة: ج ٧٤ / ص ١٨٢.

نفسه مكان المظلوم ليجد كم أن الظلم صعب وعسير. وقد ورد التحذير من الظلم لا سيما وأنه يذهب بحسنات المؤمن ففي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنه ليأتي العبد يوم القيامة وقد سرته حسناته، فيجئ الرجل فيقول: يا رب ظلمني هذا، فيؤخذ من حسناته فيجعل في حسنات الذي سأله، فما يزال كذلك حتى ما يبقى له حسنة، فإذا جاء من يسأله نظر إلى سيئاته فجعلت مع سيئات الرجل، فلا يزال يستوفى منه حتى يدخل النار»[1].

د ـ أحسن كما تحب أن يحسن إليك.

قال تعالى: **﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ﴾**[2].

إذا تذكر الإنسان أن وجوده وما بين يديه من النعم هو من فضل الله وإحسانه إليه، علم أن عليه ان يبادر إلى الإحسان إلى الناس، وهذا ما تدل عليه الآية المباركة.

وعن الإمام علي عليه السلام: «أحق الناس بالإحسان من أحسن الله إليه، وبسط بالقدرة يديه»[3].

هـ ـ استقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك.

كثيرا ما ينظر الإنسان إلى بعض ما يصدر عن الغير بعين السخط، ويراه قبيحا، ولكن قبل أن يصدر حكمه على ذلك الغير فليرجع إلى نفسه، وليضع نفسه مكان ذلك الشخص، وفي الظروف التي يعيشها ذلك الشخص، ولينظر هل سيقوم بفعل ذلك الذي يراه قبيحا أو لا؟ المشكلة تكمن في إننا ننظر إلى ما يقوم به الآخرون بعين أنفسنا لا بعين غيرنا.

---

(١) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى - ج ٢ ص ١٧٧١

(٢) القصص: ٧٧.

(٣) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى - ج ١ ص ٦٤٠

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت منه فأنت حكيم

و ـ أرض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك.

قد يرى الإنسان جفاء في تعامل بعض الناس معه، ولا يرضى منهم ذلك، فلينظر إلى نفسه، هل يعاملهم هو أيضا بجفاء، أو أنه يبادر إلى الإحسان إليهم.

ز ـ لا تقل ما لا تعلم وإن قل ما تعلم.

﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[١]

إن أخطر ما يمكن أن يقع فيه الإنسان هو أن يدّعي العلم فيقول ما لا يعرف، ويتحدث بما لا يعلم.

بل ورد التحذير في الروايات عن قول كل ما يعلم فكيف بقول ما لا يعلم؟

ففي الرواية: «لا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كل ما تعلم، فإن الله فرض على جوارحك كلها فرائض يحتج بها عليك يوم القيامة»[٢].

وإنما أوصى الإمام بهذه الوصية لأن الإنسان إذا قال ما لا يعلم فإنه سوف يوقع غيره فيما يكره ولا يحب. وذلك لأن غيره قد يعتمد على قوله عندما يقدم على أمر من الأمور، فإذا أخبره بما لا يعلم أوقعه في الضرر.

---

(١) الإسراء: ٣٦

(٢) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى - ج ٣ ص ٢٤٠٤



خلاصة الدرس

- القاعدة العامة في التعامل مع الناس أن تعاملهم كما تحب أن يعاملوك.
- تطبيقات هذه القاعدة العامة هي في:

أ - أن تحب لغيرك ما تحب لنفسك.

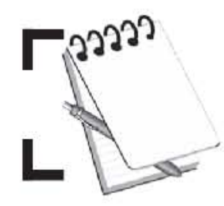
ب - أن تكره لهم ما تكره لنفسك.

ج - لا تظلم الناس كما لا تحب أن يظلمك الناس.

د - أحسن إلى الناس كما تحب أن يحسن الناس إليك.

هـ - لا تفعل ما تراه قبيحا إذا فعله غيرك.

د - لا تقل ما لا تعلم.



أسئلة حول الدرس

١- ما هي القاعدة العامة في التعامل، بيّن ذلك مفصلا؟

٢ - كيف تعامل عدوك بما تحب أن يعاملك به؟

٣- ما هو مراد الإمام عليه السلام من قوله: استقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك؟

٤- لماذا نهى الإمام عليه السلام عن قول ما لا علم لنا به؟



يقول الله تعالى في محكم آياته:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾



سئل أحد العلماء عن مسألة، فقال: لا أعلم .

قال أحد الحضور وفي حالة استنكار: وأي جواب هذا ؟

هلاّ ورّيت أو أجملت ؟ أو لا تستحي من قول لا أعلم ؟

فأجاب ذلك العالم في هدوء: ولماذا أستحي من شيء لم تستح منه الملائكة، حينما قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾ (١)

ومن المعروف عن الشيخ الأنصاري قدس سره الشريف أنه كان إذا سئل عن مسالة لا يعلمها أن يرفع صوته قائلاً:

لا أعلم لا أعلم.

ولمّا سئل عن ذلك أجابهم أن هذا من باب تأديب النفس على الإعتراف بعدم المعرفة إذ أن النفس البشرية تميل لعدم الإشارة إلى النقص الموجود فيها.

(١) سورة البقرة: الآية ٣٢

الدرس السادس

الله رؤوف بالعباد

قَـدْ أَذِنَ لَـكَ فِي الدُّعَـاءِ، وَتَكَفَّلَ لَـكَ بِالْإِجَابَةِ، أَمَرَكَ أَنْ تَسْـأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَتَسْـتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَـكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْـفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَـأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ، وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالْإِنَابَةِ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِـيحَةُ بِكَ أَوْلَى، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ.

تمهيد

مـن الأسماء الإلهية الحسنى التي تكرر وصف الله عز وجل بها هي صفة الرأفة والرحمـة، كيف وقد قرن الله عز وجل اسمـه بصفة الرحمن الرحيم في البسملة، وفي ابتداء كل سورة من سور القرآن الكريم.

ومظاهر الرحمة الإلهية ترافق هذا الإنسان منذ خلقته وإلى يوم القيامة، وهذه هي الرحمة التكوينية، والتي ترتبط بالنحو الذي خلقه الله عز وجل عليه، وبما وهبه من النعم المادية التي يتمكن من خلالها من الاستمرار في هذه الحياة والسير في الأرض.

ولكـن الرحمة الإلهيـة لا تقتصر على ذلك، بل فتح بـاب الرحمة الخاصة، والتي ترتبـط بالآخرة وما يقع فيه هذا الإنسان من تجاوز او معصية للأوامر الإلهية. وهنا يذكر الإمام علي عليه السلام في وصيته لولده الحسن بعد مظاهر هذه الرحمة الخاصة.

ـ أذن لك في الدعاء وتكفل لك بالإجابة

أبـواب الله عز وجل مفتوحة للسائلين، يطلبون منه حوائج الدنيا والآخرة، وأما الإجابـة فهي مضمونة لهم من الله عز وجل، وهذا مـا ورد به القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[١].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: «يدخل الجنة رجلان كانا يعملان عملا واحدا، فيرى أحدهما صاحبـه فوقـه، فيقول: يا رب بما أعطيتـه وكان عملنا واحـدا؟ فيقول الله تبارك وتعالى: سألني ولم تسألني»[٢].

ـ أمرك أن تسأله ليعطيك

الإمام الصادق عليه السلام: «ادع ولا تقل: إن الأمر قد فرغ منه، إن عند الله عز وجل منزلة لا تنال إلا بمسألة»[٣].

---

(١) غافر: ٦٠

(٢) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى - ج ٢ ص ٨٦٨.

(٣) الكليني، الكليني-الكافي- دار الكتب الإسلاميـة، آخوندي-الطبعة الثالثة - ابن بابويه- علي- فقه الرضا-مؤسسة أهل البيت: ٢ / ٤٦٦

إذا الكثير من النعم الإلهية، أو البلاءات لا ترتفع إلا من خلال الدعاء.

وعن الإمام علي عليه السلام: «اعلم أن الذي بيده خزائن ملكوت الدنيا والآخرة قد أذن لدعائك، وتكفل لإجابتك، وأمرك أن تسأله ليعطيك، وهو رحيم كريم، لم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه... ثم جعل في يدك مفاتيح خزائنه بما أذن فيه من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب خزائنه»[١].

- وتسترحمه ليرحمك.

الإنسان معرّض في هذه الحياة للإصابة بأنواع الابتلاءات، ومن هذه الابتلاءات ما لا يمكن للإنسان أن يدفعه عن نفسه من خلال التمسك بوسائل دنيوية ومادية، ولا يجد من سبيل للخلاص منه إلا من خلال الرجوع إلى الله عز وجل.

ورد في الرواية عن الإمام الكاظم عليه السلام: «عليكم بالدعاء، فإن الدعاء لله، والطلب إلى الله يرد البلاء وقد قدر وقضي ولم يبق إلا إمضاؤه، فإذا دعي الله عز وجل وسئل صرف البلاء صرفة»[٢].

الإمام الصادق عليه السلام - لأصحابه -: «هل تعرفون طول البلاء من قصره؟ قلنا: لا، قال: إذا الهم أحدكم الدعاء عند البلاء فاعلموا أن البلاء قصير»[٣].

وهذا الأمر لا يختص بالبلاء إذا نزل بل هو يشمل البلاء الذي لم ينزل على العبد بعد، ولذا ورد في الرواية: عن الإمام علي عليه السلام: «ادفعوا أمواج البلاء بالدعاء، ما المبتلى الذي استدر به البلاء بأحوج إلى الدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء»[٤].

---

(١) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى- ج ٢ ص ٨٦٨

(٢) الكليني، الكليني- الكافي- دار الكتب الإسلامية، آخوندي- الطبعة الثالثة - ابن بابويه- علي- فقه الرضا- مؤسسة أهل البيت: ٢ / ٤٦٩

(٣) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى- ج ٢ ص ٨٧٠

(٤) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى- ج ٢ ص ٨٧١

- ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1]

إن شرط إجابة الدعاء هو التوجه الخالص لله عز وجل، وهذا الأمر لا يتم إلا من خلال اليأس عن أي سبب لقضاء الحاجة من الأسباب الدنيوية. وقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئا إلا أعطاه فلييأس من الناس كلهم، ولا يكون له رجاء إلا عند الله، فإذا علم الله عز وجل ذلك من قلبه لم يسأل الله شيئا إلا أعطاه»[2].

- ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه.

وقد ورد في كلام للإمام عليه السلام في نهج البلاغة قوله: «فاستفتحوه واستنجحوه، واطلبوا إليه واستمنحوه، فما قطعكم عنه حجاب، ولا أغلق عنكم دونه باب. وإنه لبكل مكان، وفي كل حين وأوان، ومع كل إنس وجان، لا يثلمه العطاء، ولا ينقصه الحباء، ولا يستنفده سائل، ولا يستقصيه نائل».

فالشفاعة والواسطة إنما يحتاج إليها الإنسان إذا كان لا طريق له للإتصال المباشر بمن يريد ان يرفع حاجته إليه، وأما بالنسبة إلى علاقة الإنسان بربّه فإنها علاقة مفتوحة ومباشرة. فلا باب ولا حاجب بين الإنسان وربه.

- ولم يمنعك إن أسأت من التوبة.

باب فتحه الله عز وجل لعباده، ومظهر من مظاهر رحمة الله ورأفته، فلا يعني إذا زلت قدم العبد ان ييأس من الرجوع إلى الله عز وجل بل ورد في الروايات الحث الشديد على التوبة فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «إن الله تعالى أشد فرحا

---

(١) البقرة: ١٨٦

(٢) الكليني- الكافي- دار الكتب الإسلامية، آخوندي- الطبعة الثالثة- ابن بابويه- علي- فقه الرضا- مؤسسة أهل البيت: ٢ / ١٤٨

بتوبــة عبــده من رجل أضل راحلته وزاده في ليلة ظلمــاء فوجدها، فالله أشد فرحا بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها»[١].

ـ ولم يعاجلك بالنقمة.

مــن مظاهر الرحمة الإلهية إمهال الله عز وجــل خلقه وعدم التعجيل بعقابهم. وكمــا ورد فــي الآيــة الكريمة: **﴿وَلَـوْ يُؤَاخِـذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَـرَكَ عَلَى ظَهْرِهَـا مِـنْ دَابَّـةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَـمًّى فَـإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَـإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً﴾**[٢]

وفي الحديث: «إن الله يمهل ولا يهمل»[٣].

ولــم يمهل الله عز وجل عباده لعجز والعياذ بالله بــل هو الجبار المنتقم، ولكن رحمة منه بهم ليفتح لهم باب الرجوع إليه.

ـ ولم يعيرك بالإنابة.

ورد في العديد من الروايات الحث على التوبة، وقد عبّرت الروايات عن التائبين بعبارات المدح والثناء لا التعيير او الوقيعة فيهم، ففي رواية عن لإمام علي عليه السلام -فــي وصــف التائبين-: «غرسوا أشجار ذنوبهم نصــب عيونهم وقلوبهم وسقوها بمياه الندم، فأثمرت لهم السلامة، وأعقبتهم الرضا والكرامة».

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[٤].

ـ ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولى

الإنسان المذنب الـذي يتجاوز عما فرضه الله حق، على الله عز وجل ان يفضحه ويستحق ذلك، ولكن الله عز وجل يستر عليه ذلك، وفي الرواية عن لإمام

---

(١) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى- ج ١ ص ٣٣٨

(٢) فاطر: ٤٥

(٣) علي خان المدني الشيرازي - رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام - مؤسسة النشر الإسلامي- ج ٣ ص ١٢٠

(٤) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى- ج ١ ص ٣٣٨

الصادق عليه السلام - وقد سمعه معاوية بن وهب يقول -: «إذا تاب العبد المؤمن توبة نصوحا أحبه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة. قلت: وكيف يستر عليه ؟ قال: ينسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب... فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب»(١).

وعن الإمام علي عليه السلام: «من تاب تاب الله عليه، وأمرت جوارحه أن تستر عليه، وبقاع الأرض أن تكتم عليه، وانسيت الحفظة ما كانت تكتب عليه».

- ولم يشدد عليك في قبول الإنابة.

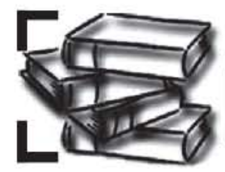
ورد في الرواية عن لإمام الباقر عليه السلام: «لا والله ما أراد الله تعالى من الناس إلا خصلتين: أن يقروا له بالنعم فيزيدهم وبالذنوب فيغفرها لهم».

بهذا تنال المغفرة، ولكن شرط ان لا يعود إلى ارتكاب الذنب.

- ولم يناقشك بالجريمة.

إن من أصعب مواقف الذل التي قد يقع فيها الإنسان، هو أن يقف في موقف ذلّ الحساب، ولعله يكون أصعب من العقاب، وهذا ما يمكن للإنسان التخلص منه من خلال التوبة، فإذا عفا الإنسان عن المسيء له فإنه لن يمانع من توجيه اللوم له او العتاب، ولكن الله عز وجل إذا عفى عن الذنب عفا عن اللوم والعتاب أيضاً. وقد ورد في دعاء الإمام زين العابدين طلب الرحمة في هذا الموقف: «ارحم في هذه الدنيا غربتي وعند الموت كربتي وفي القبر وحدتي وفي اللحد وحشتي وإذا نشرت للحساب بين يديك ذلّ موقفي».

(١) المجلسي-محمد باقر-المجلسي-محمد باقر-بحار الأنوار-مؤسسة الوفاء ،الطبعة الثانية المصححة – الأنوار- مؤسسة الوفاء ،الطبعة الثانية المصححة: ٦ / ٢٨



خلاصة الدرس

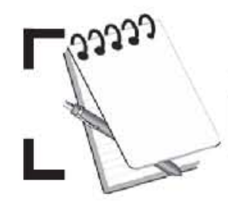
ـ من مظاهر الرحمة الإلهية، الرحمة التكوينية وترتبط بخلقة الإنسان والنعم المادية التي وهبها له الله عز وجل.

ـ من مظاهر الرحمة الإلهية الرحمة الخاصة، والتي ترتبط بالآخرة وما يقع فيه هذا الإنسان من تجاوز او معصية للأوامر الإلهية.

ـ الرحمة الخاصة تتمثل في الدعاء مع ضمان الإجابة، الأمر بالسؤال لتتم العطية، الأمر بطلب الرحمة لتنزل عليه الرحمة.

ـ لا حجاب بين الله وبين خلقه، كما لا حاجة إلى الشفعاء في الطلب.

ـ من مظاهر الرحمة الإلهية فتحه باب التوبة، وعدم تعجيل العقوبة للعاصين من عباده، وستره على عباده.



أسئلة حول الدرس

١ـ ما هي الرحمة التكوينية وما هي الرحمة الخاصة؟

٢ـ ما هو معيار طول البلاء أو قصره بحسب ما ورد في الرواية؟

٣ـ هل يهمل الله عز وجل معاقبة عباده العصاة، وكيف تفسّر تأخيره للعقوبة؟

٤ـ كيف تفسّر قوله: «ولم يناقشك بالجريمة؟»



عـن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يدخل الجنة رجـلان كانا يعملان عملا واحدا، فيرى أحدهما صاحبـه فوقـه، فيقول: يا رب بما أعطيتـه وكان عملنا واحـدا؟ فيقول الله تبارك وتعالى: سألني ولم تسألني».

الإمام الصادق عليه السلام: «أدعُ ولا تقل: إن الأمر قد فرغ منه، إن عند الله عز وجل منزلة لا تنال إلا بمسألة».



الصبر على البلاء وحسن العاقبة

كان الملا محمد صالح المازندراني رحمه الله فقيراً جداً وخالي اليد، وكان يرتدي الملابس العتيقة الممزقة، فكان لا يشارك في مجلس الدرس خجلاً وحياءً، بل كان يجلس خارج المدرسة ويستمع إلى درس الأستاذ، وكان يكتب تحقيقاته على أوراق الأشجار، وقد ظن سائر الطلاب أن هذا الرجل شحاذ فقير جاء ليستجدي.

وقـد أشكلـت على الأستـاذ الملا محمد تقـي المجلسي رحمه الله مسألـة في أحد الأيام، وأحال حلها إلى اليوم الثاني، وفي اليوم الثاني لم يتوصل إلى حل المسألة، فأحيلت إلى اليوم الثالث.

وفي هذه الأثناء دخل أحد طلاب المدرسة على الملا صالح فوجد أمامه أوراق الصفصـاف فأخذ اثنين أو ثلاثة مـن أوراق الصفصاف فوجد فيها حل المشكلة

المعضلة، فذهب في اليوم الثالث إلى مجلس الدرس، وطرحت المسألة ولم يتمكن أحد من إيجاد الحل لها، ثم بدأ ذلك الطالب ببيان حل المسألة، فتعجب الملا محمد تقي المجلسي وأصر على القول: بأن هذا الجواب ليس من عندك بل هو من شخص آخر تعلمته منه فمن هو؟

وأخيراً، نقل ذلك الطالب قضية الملا محمد صالح، ولما اطلع الآخوند المجلسي على كيفية حال الملا محمد صالح، ورآه جالساً خارج معهد الدرس، أرسل على الفور أن يحضروا له الملابس، وطلب منه أن يدخل معهد الدرس، واستمع منه حل هذا الإشكال شفاهاً، وبعد ذلك عين له المجلسي حقوقاً شهرية. وقربه واشتهر بالعلم والفضل.

الدرس السابع

ذكر الموت

«أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضِـي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّـى يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ، وَشَـدَدْتَ لَـهُ أَزْرَكَ، وَلاَ يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلاَدِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا، فَقَدْ نَبَّأَكَ اللهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا».

أثر ذكر الموت

الموت هذه الحقيقة التي إليها يكون مصير كل إنسان، وهو في الحقيقة انتقال من دار البلاء والامتحان إلى دار الأجر والجزاء، فمن أحسن عملاً أحب وقت الجزاء، ومن أساء العمل خاف من ذلك اليوم، وقد ورد في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال: حتى يكون الموت أحب إليه من الحياة»[1].

ولا شك أن لذكر الموت أثراً على روحية الإنسان ومسلكيته في هذه الدنيا، والناس بالنسبة لذكر الموت قسمان:

القسم الأول هم الأشخاص الغافلون عن الآخرة، والذين تشكل أيامهم المعدودة في هذه الحياة الدنيا كل همّهم، وتتلخص أهدافهم بمتطلبات هذه الأيام المعدودة، وهذا النوع من الناس يشكل الموت بالنسبة إليهم نهاية كل شيء، نهاية الأمل ونهاية الهدف ونهاية الوجود، وبالتالي فمن المنطقي أن يكون ذكر الموت بالنسبة لهم يبعث على اليأس والإحباط، لذلك تجدهم كثيراً ما يتجنبون ذكر الموت وينزعجون من التلفظ باسمه.

والقسم الثاني هم عرفوا الله تعالى وعرفوا أن هناك يوم حساب ويوم جزاء، وبالتالي فالدنيا بالنسبة لهم ليست إلا قنطرة وجسراً يعبرونها للوصول إلى تلك الحياة الحقيقية والأساسية فهدفهم الحقيقي لا يتوقف عند هذه الأيام والأنفاس المعدودة، وطموحاتهم لا تنحصر بمتطلبات هذه الأيام المحدودة، فهم وإن لم ينسوا نصيبهم من الدنيا إلا أن هدفهم الأساسي هو الآخرة، يبنون لها ويمهدون لأنفسهم للوصول إلى تلك المرحلة على أفضل حال، وهذا النوع من الناس سيكون ذكر الموت بالنسبة لهم له فوائد متعددة، فهو:

---

(١) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى - ج ١ ص ١٩٣

أ - باعث على الجد والنشاط للاستفادة من فرصة هذه الدنيا على أكمل وجه للتأسيس للآخرة، فلحظات هذه الفرصة محدودة.

ب - يرسّخ الهدف الحقيقي - المتمثل بالآخرة - أكثر في النفوس، ويجعل هذا الهدف حاضراً بشكل أكبر وآكد. وبالتالي يصوّب مسيرة الإنسان بالاتجاه الصحيح.

ج - يساعد الإنسان للسيطرة على ميوله النفسية وشهواته، فيهذّبها ويجعلها ضمن الإطار الإيجابي والصحيح.

وقد ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أكثروا ذكر الموت، فإنه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا، فإن ذكرتموه عند الغنى هدمه، وإن ذكرتموه عند الفقر أرضاكم بعيشكم»[1].

الحذر من الموت

«حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرك».

إن مشكلة الإنسان في هذه الدنيا تتمثل في الحجب التي تتالى على قلبه فتمنعه من ذكر الله عز وجل، وتكون هذه الحجب سبباً في ابتعاده عن الله، وذكر الموت هو أحد الأسباب التي تشكل عاملاً مساعداً على إزالة هذه الحجب، ففي رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء قيل: وما جلاؤها؟ قال: كثرة ذكر الموت، وتلاوة القرآن»[2].

وأما كيف يؤدي ذكر الموت دوره في رفع هذه الحجب؟ فهو من جهة شعور الإنسان بأن مصير كل ما يعيشه الإنسان في هذه الدنيا إلى الزوال لا البقاء. وقد ورد في الرواية عن الإمام علي عليه السلام: «إن الموت هادم لذاتكم، ومكدر شهواتكم، ومباعد طياتكم، زائر غير محبوب، وقرن غير مغلوب، وواتر غير مطلوب، قد

(١) - الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى - ج ٤ ص ٢٩٦٥

(٢) - الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى - ج ٣ ص ٢٦١٦

أعلقتكم حبائله... فيوشك أن تغشاكم دواجي ظلله، واحتدام علله»[١].

وهذا الموت الذي يتيقن كل إنسان في هذه الدنيا أنه سوف يأتيه في يوم من الأيام، تجد الإنسان يتعامل مع معاملة الشيء المشكوك وهذا ما نبّه عليه الإمام علي عليه السلام في رواية قال: «ما رأيت إيمانا مع يقين أشبه منه بشك على هذا الإنسان، إنه كل يوم يودع إلى القبور، ويشيع، وإلى غرور الدنيا يرجع، وعن الشهوة والذنوب لا يقلع، فلو لم يكن لابن آدم المسكين ذنب يتوكفه ولا حساب يقف عليه إلا موت يبدد شمله ويفرق جمعه ويوتم ولده، لكان ينبغي له أن يحاذر ما هو فيه بأشد النصب والتعب»[٢].

وهل لإنسان أن يطمع بالخلود في هذه الدنيا، قد تجد من الناس من يحب ذلك ويرغب به ولكن الناس كافة تؤمن يقينا بأنه لا سبيل إلى ذلك وفي الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لو أن أحدا يجد إلى البقاء سلما أو لدفع الموت سبيلا لكان ذلك سليمان بن داود عليه السلام، الذي سخر له ملك الجن والإنس مع النبوة، وعظيم الزلفة، فلما استوفى طعمته واستكمل مدته رمته قسي الفناء بنبال الموت، وأصبحت الديار منه خالية، والمساكن معطلة، وورثها قوم آخرون»[٣].

الاستعداد لتلك الرحلة

«وشددت له أزرك».

إن كل من يقدم على سفر من الأسفار يتجهز لهذا السفر بما يحتاج إليه ومنها أن يكون له من القدرة والقوة ما يمكنه من طي هذا السفر بنحو يصل إلى مقصوده، وهكذا حال الإنسان في هذه الدنيا، فإنه لا بد له وأن يتجهز في هذه الدنيا بما يعينه على الآخرة.

وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «احذروا عباد الله الموت وقربه، وأعدوا له عدته،

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٣٠

(٢) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى - ج ٤ ص ٢٩٥٧

(٣) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى - ج ٤ ص ٢٩٥٧

فإنــه يأتي بأمر عظيم وخطب جليل، بخير لا يكون معه شر أبدا، أو شر لا يكون معه خير أبدا، فمن أقرب إلى الجنة من عاملها! ومن أقرب إلى النار من عاملها»[١].

«ولا يأتيك بغتة فيبهرك».

ورد في الروايات ذكر صورة الموت للمؤمن وصورة الموت للكافر، وإنما تحصل البغتــة للكافــر، قال تعالى: **﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾**[٢].

صورة موت المؤمن

تتلخص صورة موت المؤمن بما يلي:

أ. ملـك المـوت: عن النبي صلى الله عليه وآله: «إن ملك الموت ليقف من المؤمن عند موته موقف العبد الذليل من المولى، فيقوم وأصحابه لا يدنون منه حتى يبدأه بالتسليم ويبشره بالجنة»[٣].

ب. خـروج الـروح: رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن أشـد شيعتنا لنا حبا يكون خروج نفسه كشـرب أحدكم في يـوم الصيف الماء البـارد الذي ينتفع به القلـوب، وإن سائرهم ليموت كما يغبط أحدكم على فراشه كأقر ما كانت عينه بموته»[٤].

ج. البشارة: أول ما يبشر به المؤمن روح وريحان وجنة نعيم، وأول ما يبشر به المؤمن أن يقال له: أبشر ولي الله برضاه والجنة! قدمت خير مقدم، قد غفر الله لمن شيعك، واستجاب لمن استغفر لك، وقبل من شهد لك[٥].

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب: ٢٧

(٢) الأنعام: ٣١

(٣) الصدوق«٣٨١ه.» – من لا يحضره الفقيه - جامعة المدرسين – الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ.: ١ / ١٣٥

(٤) المجلسي-محمد باقر -المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء ،الطبعة الثانية المصححة – الأنوار- مؤسسة الوفاء ،الطبعة الثانية المصححة: ٦ / ١٦٢

(٥) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث ، الطبعة الأولى - ج ٤ ص ٢٩٦١

صورة موت أهل النار

تتلخص صورة موته بما يلي:

أ ـ ملك الموت: قال تعالى: **﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾** والمراد من الآية أن نزع الملائكة لروح الكافر يترافق مع ضربه من أمام ومن خلف. عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إذا أراد الله قبض روح الكافر قال: يا ملك الموت انطلق أنت و أعوانك إلى عدوي، فإني قد ابتليته فأحسنت البلاء، ودعوته إلى دار السلام فأبى إلا أن يشتمني، وكفر بي وبنعمتي، وشتمني على عرشي فاقبض روحه حتى تكبه في النار، قال: فيجيئه ملك الموت بوجه كريه كالح، عيناه كالبرق الخاطف، صوته كالرعد القاصف، لونه كقطع الليل المظلم، نفسه كلهب النار رأسه في السماء الدنيا ورجل في المشرق و رجل في المغرب، وقدماه في الهواء معه سفود كثير الشعب، معه خمسمائة ملك معهم سياط من قلب جهنم، تلتهب تلك السياط وهي من لهب جهنم، ومعهم مسح أسود وجمرة من جمر جهنم، ثم يدخل عليه ملك من خزان جهنم يقال له: سحقطائيل فيسقيه شربة من النار، لا يزال منها عطشاناً حتى يدخل النار، فإذا نظر إلى ملك الموت شخص بصره وطار عقله، قال: يا ملك الموت ارجعون، قال: فيقول ملك الموت: «كلا إنها كلمة هو قائلها»»[١].

ب ـ خروج الروح: وقد ورد في الرواية وصف ذلك عن أبي جعفر الصادق عليه السلام قال: «فيجيئه (الكافر) ملك الموت بوجه كريه كالح، عيناه كالبرق الخاطف، صوته كالرعد القاصف، لونه كقطع الليل المظلم، نفسه كلهب النار رأسه في السماء الدنيا ورجل في المشرق و رجل في المغرب، وقدماه في الهواء»[٢].

ج ـ المصير السيئ: يقول تعالى **﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ**

---

(١) المفيد – محمد بن محمد بن النعمان – الاختصاص- دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان - ص ٣٥٩

(٢) المفيد – محمد بن محمد بن النعمان – الاختصاص- دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان - ص ٣٥٩

وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[1].



ـ الأثر التربوي لذكر الموت هو تمحيص الذنوب والزهد في هذه الدنيا.

ـ ذكر الموت هو أحد الأسباب التي تشكل عاملا مساعدا على إزالة الحجب، ففي رواية رسول الله صلى الله عليه وآله: إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء قيل: وما جلاؤها ؟ قال: كثرة ذكر الموت.

ـ من فوائد ذكر الموت أن يجهّز الإنسان نفسه للآخرة، ويشد أزره لما فيه مستقره الأبدي.

ـ من فوائد ذكر الموت أن لا يأتي الموت بغتة على الإنسان فيبهته فلا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً.



١ـ ما هو الأثر التربوي المترتب على ذكر الموت؟

٢ـ كيف يساعد ذكر الموت على إزالة الحجب؟

٣ـ ما هي الصورة التي يحضر فيها ملك الموت لنزع روح المؤمن؟

٤ـ لماذا يباغت الكافر بالموت؟

(١) - الأنعام: ٩٣.



ورد فــي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثــروا ذكر الموت، فإنه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا، فإن ذكرتموه عند الغنى هدمه، وإن ذكرتموه عند الفقر أرضاكم بعيشكم»

وعــن الإمام علــي عليه السلام: «إن الموت هادم لذاتكم، ومكــدر شهواتكم، ومباعد طياتكــم، زائر غيــر محبوب، وقرن غيــر مغلوب، وواتر غير مطلــوب، قد أعلقتكم حبائله... فيوشك أن تغشاكم دواجي ظلله، واحتدام علله».



ميتة السوء

اشتهــر الحجّاج بن يوسف الثقفــي بولعه في قتل شيعــة أمير المؤمنين عليه السلام أمثال كميل بن زياد، و سعيد بن جبير و غيرهـم.

و كان للحجــاج فــي القتل و سفك الدماء و العقوبــات غرائب لم يُسمع بمثلها، و كان يُخبر عن نفسه أن أكبر لذاته سفك الدماء و ارتكاب القتل.

كانــت نهايــة هذا الطاغيــة بمرض الأكلة التــي وقعت في بطنــه، فدعا الطبيب لينظر إليه فأخذ لحماً و علّقه في خيط و سرحه في حلقه و تركه ساعة ثم أخرجه و قــد لصــق به دود كثير، و سلّط الله عليه الزمهريــر، فكانت الكوانين تجعل حوله مملوءة ناراً و تدنى منه حتى تحرق جلده و هو لا يحس بها، فشكا ما حاله و ما يعاني

من شدة الألم إلى الحسن البصري.

فقال له الحسن البصري: قد كنت نهيتك ألا تتعرّض إلى الصالحين فلحجت.

فقال له: يا حسن، لا أسألك أن تسأل الله أن يفرّج عنّي، و لكني أسألك أن تسأله أن يُعجّل قبض روحي و لا يطيل عذابي.

الدرس الثامن

المؤمن عزيز

" وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّة وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائبِ، فَإِنَّكَ لَـنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِـكَ عِوَضـاً. وَلاَ تَكُنْ عَبْـدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً. وَمَا خَيْرُ خَيْر لاَ يُنَالُ إِلاَّ بِشَرٍّ، ويُسْر لاَ يُنَالُ إِلاَّ بِعُسْر ؟! وَإِيَّـاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَة، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلاَّ يَكُونَ بَيْنَكَ بَيْنَ اللهِ ذُونِعْمَة فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قَسْمَكَ، وَآخِذٌ سَهْمَكَ، وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ. وَتَلاَفِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ، وَحِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَـدِّ الْوِكَاءِ، وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَـبِ مَا فِي يَدَيْ غَيْرِكَ. وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ، وَالْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ».

المؤمن لا يذل

« أكـرم نفسك عن كل دنية وإن ساقتك إلى الرغائب فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً».

ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام : «المؤمن أعظم حرمة من الكعبة»[١].

وعـن الإمام الباقر عليه السلام : «إن الله عز وجل أعطى المؤمن ثلاث خصال: العز في الدنيا والدين، والفلاح في الآخرة، والمهابة في صدور العالمين»[٢].

الله عز وجل أعطى لهذا المؤمن العزة، ولكن الإنسان قد تدعوه رغبة من رغباته إلى فعل ما لا يليق به تلبية لرغبته تلك، فيقع في إذلال نفسه ويضحي بما وهبه إياه الله عز وجل، وهنا يرشدنا الإمام إلى أن ما نناله جراء التضحية بهذه العزة والكرامة الموهوبة من الله عز وجل لا يعادل ما نأخذه من حطام. فإن من يقدم على ذلك لمغبون، لأنه يبذل الشيء الغالي والنفيس في سبيل الفاني والرخيص.

بل ورد في الرواية أن المؤمن لا ولاية له على أن يُذل نفسه. في سبيل ذلك فقد ورد في الرواية عن لإمام الصادق عليه السلام : «إن الله فوض إلى المؤمن أموره كلها، ولم يفوض إليه أن يكون ذليلا، أما تسمع الله تعالى يقول: ﴿...**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**[٣]﴾»[٤].

فالمؤمن يكون عزيزا ولا يكون ذليلا، إن المؤمن أعز من الجبل، لأن الجبل يستقل منه بالمعاول، والمؤمن لا يستقل من دينه بشيء.

وعنه عليه السلام : «المؤمن إذا سئل أسعف، وإذا سأل خفف»[٥].

---

(١) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى- ج١ ص ٢٠٥

(٢) المجلسي-محمد باقر-المجلسي-محمد باقر-بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة – الأنوار- مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة: ٦٧ / ٧١.

(٣) المنافقون: ٨

(٤) الطوسي – تهذيب الأحكام – دار الكتب الإسلامية – طهران -: ٦ / ١٧٩

(٥) غرر الحكم: ١٩٣٣

المؤمن حر

«لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً». هذه العبارة من الإمام عليه السلام أصبحت من الأمثال التي سار بها الناس، فالمؤمن هو عبد لله عز وجل فقط ولا يمكنه أن يكون عبداً لغيره لأن في ذلك ذلّه، وقد وردت الروايات بالنهي عن أن يؤجر الإنسان المؤمن نفسه عن عمل من الأعمال ولو كان ذلك لأجل الرزق ففي رواية عن لإمام الصادق عليه السلام: «من آجر نفسه فقد حظر على نفسه الرزق». وفي رواية أخرى: «وكيف لا يحظره ؟! وما أصاب فيه فهو لربه الذي آجره».

الغاية والوسيلة

« وما خير خير لا ينال إلا بشر، ويسر لا ينال إلا بعسر».

هل الغاية تبرر الوسيلة؟ الجواب الذي تتضمنه هذه الوصية هو النفي، فالإمام عليه السلام يؤكد على أن الخير الذي يصل إليه الإنسان عن طريق الشر، لا يكون خيراً، بل هو من الشر، فالمال الذي يحصل عليه الإنسان ولو كان لفعل الخير إذا كان من خلال إذلال المؤمن لنفسه فإنه سوف يكون موجباً لكون ذلك الخير من الشر.

موجبات العزة

أ- طاعة الله:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «من أخرجه الله من ذل المعاصي إلى عز التقوى، أغناه الله بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا بشر»[1].

ومن الطاعة التسليم لله عز وجل فيما أمر ونهى، وقد نهي المؤمن عن إذلال نفسه، وإذلال النفس إمّا أن يكون لأجل الحاجة إلى المال، او إلى العشيرة او إلى الصداقة والرفقة، فلو أطاع الله لسلك في هذه الثلاثة سبل الطاعة فكان عزيزاً فيها.

---

(١) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى - ج ٣ ص ١٩٥٨

وهـذا ما يمكن أن يستفاد مـن الرواية عن أمير المؤمنيـن عليه السلام : «إذا طلبت العز فاطلبه بالطاعة»[١].

ب ـ اليأس عما في أيدي الناس

إنمـا يذل الإنسان نفسـه لغيره من الناس متى عاش على أمـل أن يجد ما يطلبه عندهم وأما لو قطع الأمل من ذلك في نفسه، وعلق أمله بالله عز وجل فقط فإنه لن يلجـأ إلى إذلال نفسه، ولذا ورد فـي الرواية عن لقمان عليه السلام – لابنه وهو يعظه –: «إن أردت أن تجمـع عز الدنيا فاقطع طمعك مما في أيدي الناس، فإنما بلغ الأنبياء والصديقون ما بلغوا بقطع طمعهم»[٢].

ج ـ نصرة الحق

إن العزة هي في نصرة الحق، وأما لو تخلى الإنسان عن نصرة الحق فإنه سوف يكون مصيره إلى الذل، وقد ورد في الرواية عن الإمام العسكري عليه السلام : «ما ترك الحق عزيز إلا ذل، ولا أخذ به ذليل إلا عز»[٣].

وعن الإمام علي عليه السلام : «فرض الله... والجهاد عزاً للإسلام»[٤]

د ـ إكرام الناس

إن مـن موجبات كرامة النفس عند النفس ان يتعامـل الإنسان بإكرام مع سائر النـاس، فقد ورد في الرواية عن الإمام علـي عليه السلام : «إن مكرمة صنعتها إلى أحد مـن الناس إنما أكرمت بها نفسك وزينت بهـا عرضك، فلا تطلب من غيرك شكر ما صنعت إلى نفسك»[٥].

---

(١) غرر الحكم: ٤٠٥٦

(٢) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث ، الطبعة الأولى - ج ٣ ص ١٩٥٩

(٣) المجلسي -محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء ،الطبعة الثانية المصححة: ٧٨ / ٣٧٤

(٤) نهج البلاغة: الحكمة: ٢٥٢، الخطبة ١٩٨

(٥) غرر الحكم: ٣٥٤٢



خلاصة الدرس

- لا ينبغي للمؤمن أن يبذل نفسه في سبيل الوصول إلى بعض الأمور الدنية، فإن بذل النفس في ذلك هو من الغبن، لأنه من بذل الغالي للحصول على الرخيص.

- من كمال الحرية أن تكون العبودية خالصة لله عز وجل دون غيره.

- يؤكد الإمام عليه السلام على أن الخير الذي يصل إليه الإنسان عن طريق الشر، لا يكون خيرا، بل هو من الشر.

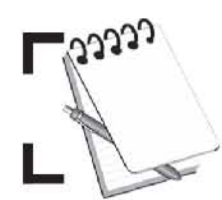
- من موجبات العزة:

أ - طاعة الله.

ب - اليأس عما في أيدي الناس.

ج - نصرة الحق.

د - إكرام الناس.



أسئلة حول الدرس

١. لماذا كانت الصفقة التي يبذل فيها المؤمن نفسه صفقة خاسرة؟

٢. ما المراد من قول الإمام عليه السلام في الوصية، وما خير خير لا ينال إلا بشر؟

٣. كيف تكون طاعة الله من موجبات العزة؟

٤. لماذا فرض الله عز وجل الجهاد؟



عن الإمام الباقر عليه السلام: «إن الله عز وجل أعطى المؤمن ثلاث خصال: العز في الدنيا والدين، والفلاح في الآخرة، والمهابة في صدور العالمين»

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله فوض إلى المؤمن أموره كلها، ولم يفوض إليه أن يكون ذليلاً، أما تسمع الله تعالى يقول: **﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾**».



عزة نفس الشريف الرضي

حكى أبو إسحاق الصابي قال: كنت عند الوزير أبو محمد المهدي ذات يوم فدخل الحاجب واستأذن للشريف الرضي، وكان الوزير قد أبتدأ بكتابة رقعة فألقاها ثم قام كالمندهش حتى استقبله من دهليز الدار، واخذ بيده وأعظمه وأجلسه في دسته، ثم جلس بين يديه متواضعا وأقبل عليه بجميعه، فلما خرج الرضي خرج معه وشيعه إلى الباب ثم رجع، فلما خف المجلس قلت: أيأذن الوزير لي أعزه الله تعالى ان أسأله عن شيء قال: نعم وكأنك تسأل عن زيادتي في أعظام الرضي فإنه بلغني ذات يوم انه ولد له غلام، فأرسلت إليه بطبق فيه ألف دينار فرده وقال: قد علم الوزير إني لا أقبل من أحد شيئا، فرددته وقلت: إني إنما أرسلته للقوابل، فرده ثانية وقال، قد علم الوزير إنَّا أهل بيت لا يطلع على أحوالنا قابلة غريبة، وإنما

عجايزنـا يتولين هذا الأمر من نسائنا، ولسن ممـن يأخذن أجرة، ولا يقبلن صلة، فرددتـه إليه وقلت: يفرقه الشريف على ملازميه من طلبة العلم، فلما جاءه الطبق وحوله الطلبة، قال: ها هم حضور فليأخذ كل أحد ما يريد، فقام رجل واخذ ديناراً، فقرض من جانبه قطعة وأمسكها ورد الدينار إلى الطبق، فسأله الشريف عن ذلك فقال: إني احتجت إلى دهن السراج ليلة، ولم يكن الخازن حاضراً، فاقترضت من فلان البقال دهناً، فأخذت هذه القطعة لأدفعها إليه عوض دهنه، وكان طلبة العلم الملازمـون للشريف الرضي فـي دار قد اتخذها لهم سماهـا دار العلم وعين لهم فيهـا جميع ما يحتاجون إليـه، فلما سمع الرضي أمر في الحـال ان يتخذ للخزانة مفاتيـح بعدد الطلبة، ويدفع إلـى كل منهم مفتاحاً ليأخذ ما يحتاج إليه، ولا ينتظر خازناً يعطيه، ورد الطبق على هذه الصورة، فكيف لا أُعظّم من هذه حاله؟!

الدرس التاسع

العلاقة مع الإخوان «١»

«احْملْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصِّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللَّطفِ وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبَذْلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ، لاَ تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ، وَامْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ، حَسَنَةً كَانَتْ أَمْ قَبِيحَةً»

تمهيد

كما حث الإسلام الناس على اكتساب الإخوان حتى جعل ذلك من علامات القدرة والقوة، فقد ورد في رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم»(١).

كذلك وردت الرواية وتعاليم أئمة أهل البيت عليهم السلام بتحديد قواعد العلاقة التي ينبغي أن تكون بين الإخوان، والتي تحفظ هذه المودة التي تكون بينهم. وهذه القواعد هي التي يوصي بها الإمام عليه السلام ولده.

وقد ورد في التشريع الأخلاقي الإسلامي بيان مجموعة من الحقوق الثابتة بين الإخوان، وقد ورد في رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله جمع هذه الحقوق والتي تصل إلى ثلاثين حقا: « للمسلم على أخيه ثلاثون حقا، لا براءة له منها إلا بالأداء أو العفو: يغفر زلته، ويرحم عبرته، ويستر عورته، ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويرد غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلته، ويرعى ذمته، ويعود مرضه، ويشهد ميته، ويجيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافئ صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويسمت عطسته، ويرشد ضالته، ويرد سلامه، ويطيب كلامه، ويبر أنعامه، ويصدق أقسامه، ويوالي وليه، ولا يعاديه، وينصره ظالما ومظلوما، فأما نصرته ظالما فيرده عن ظلمه، وأما نصرته مظلوما فيعينه على أخذ حقه، ولا يسلمه، ولا يخذله، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه»(٢).

عدم قطيعة الاخوان

إن ارتباك علاقة المؤمنين ببعضهم مما أكد عليه الإمام عليه السلام، ومن مفردات العلاقة الحسنة:

(١) المجلسي -محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء ،الطبعة الثانية المصححة: ٧٤ / ٢٧٨

(٢) المجلسي-محمد باقر -المجلسي-محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء ،الطبعة الثانية المصححة – الأنوار- مؤسسة الوفاء ،الطبعة الثانية المصححة –، ج ٧٤، ص ٢٣٦

١ - «إحمل نفسك من أخيك عند صرمه على الصلة»

الصرم هو الصد و القطيعة، هل أبادر إذا قاطعني أي أخ من الأخوان بسبب مبرر أو دون سبب مبرر إلى مقاطعته أيضا؟ إن العداوة تستمر وتكبر بسبب المبادرة إلى المقابلة بالمثل وهذا لا ينبغي ان يكون عليه الحال بين الإخوان، فمبدأ المقابلة بالمثل هو بين الأعداء لا بين الإخوان.

عن الإمام علي عليه السلام : «لا تتبع أخاك بعد القطيعة وقيعة فيه، فيسد عليه طريق الرجوع إليك، فلعل التجارب ترده عليك»(١).

وعنه عليه السلام : «لا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته»(٢).

٢ - «وعند صدوده على اللطف و المقاربة».

قد تجد لدى أخيك نوعاً من الجفاء والصدود، ومقابل ذلك عليك ان تبادر إلى مودته وإظهار اللطف به، ويكفي فائدة في ذلك أن تقصد به وجه الله عز وجل كما ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «النظر إلى الأخ توده في الله عز وجل عبادة»(٣).

٣ - «وعند جموده على البذل».

لو وجدت من أخيك نوعا من الاحجام عن الكرم او الانفاق، او شيئا من البخل فلا تبادله ذلك بالبخل عليه او الجمود بل بادر بالبذل له فإنك بذلك تخرجه عن تلك الحالة إلى حالة الكرم.

٤- «وعند تباعده على الدنو».

قد لا يبادر الأخ إلى القطيعة ولكنه يبتعد، فلا تبادر بدورك إلى الابتعاد، بل بادر إلى الدنو والاقتراب منه، فلعله يعاني من مشكلة لم يحب أن يطلعك عليها، فإذا وجد أنك لم تبادله بالبعد، بل بقيت على دنوك منه بادر إلى إطلاعك، فكنت عونا له للخلاص من مما يعانيه.

---

(١) المجلسي -محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء ،الطبعة الثانية المصححة: ٧٧ / ٢٠٩

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٣١

(٣) المجلسي -محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء ،الطبعة الثانية المصححة: ٧٤ / ٢٧٩

٥. «وعند شدته على اللين».

الإنســان خاضع لما يحيط به من ظروف ومــا يعيشه من حالات، فقد يبادر إلى استعمال القسوة او الشدة مع إخوانه وسواء كان ذلك مبررا له او غير مبرر، فإن ما ينبغي لنا المبادرة إليه هو ان نعامله بلين ونحمل فعل الشدة منه على العذر.

٦. «وعند جرمه على العذر حتى كأنك له عبد وكأنه ذو نعمة عليك».

إذا أســاء لك أخوك فلا تبادره بالإساءة بل بــادره بالإحسان محتملا له العذر، فقــد ورد في الرواية عــن لإمام علي عليه السلام - في وصيته لمحمد بن الحنفية -: «لا تصرم أخاك على ارتياب، ولا تقطعه دون استعتاب، لعل له عذرا وأنت تلوم به»

الحذر في العلاقة:

١. «إياك أن تضع ذلك في غير موضعه أو أن تفعله بغير أهله».

الإمــام الصادق عليه السلام: «الإخــوان ثلاثة: فواحد كالغذاء الــذي يحتاج إليه كل وقت فهو العاقل، والثاني في معنى الداء وهو الأحمق، والثالث في معنى الدواء فهو اللبيب»[١].

وعنه عليه السلام: «الإخوان ثلاثة: مواس بنفسه، وآخر مواس بماله، وهما الصادقان في الإخاء، وآخر يأخذ منك البلغة، ويريدك لبعض اللذة، فلا تعده من أهل الثقة»[٢]

٢. «لا تتخذن عدو صديقك صديقاً فتعادي صديقك».

لا شك في أن الإنسان لا يمكنه أن يصادق عدوه، أو أن يصادق عدو صديقه، لأن مجــرد صداقــة العدو تجعل من النفس تستريب وتشك فــي أن تكون الصداقة غير خالصة، بل مشوبة بنوع من النفاق.

---

(١) الحرانــي - ابــن شعبــة - الوفاة: ق ٤- تحف العقول- الطبعة: الثانية - مؤسسة النشــر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة- ٣٢٣

(٢) الحرانــي - ابــن شعبــة - الوفاة: ق ٤- تحف العقول- الطبعة: الثانية - مؤسسة النشــر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة - ص ٣٢٣

٣ـ «وامحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة».

النصيحة للأخ كما تكون بطلب من ذلك الأخ، وذلك متى وقع في مشكلة او أراد أمرا وطلب النصيحة فيه، وإما أن تكون ابتداء متى وقع الأخ فيما لا يرضى به الله عز وجل، أو ابتعد عن طريق الحق، فقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «من رأى أخاه على أمر يكرهه فلم يرده عنه وهو يقدر عليه فقد خانه»[١].

وفي رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام قال: «أما حق أخيك، فأن تعلم أنه يدك وعزك وقوتك، فلا تتخذه سلاحا على معصية الله، ولا عدة للظلم لخلق الله، ولا تدع نصرته على عدوه والنصيحة له، فان أطاع الله وإلا فليكن الله أكرم عليك منه، ولا قوة إلا بالله».



ـ أوصى الأئمة عليهم السلام بمجموعة من القواعد التي يضمن اتباعها حفظ المودة بين الإخوان، وما ورد في وصية الإمام علي عليه السلام هو التالي:

أ ـ عدم المبادرة إلى قطيعة الأخ وإن صدرت القطيعة منه، بل مقابلة القطيعة بالصلة.

ب ـ مبادرة صد الأخ باللطف والإحسان.

ج ـ مقابلة البخل لو صدر من الأخ بالكرم والعطاء.

د ـ مقابلة الابتعاد بالدنو والاقتراب.

هـ ـ مقابلة الشدة والقسوة بالرحمة واللين.

(١) المجلسي -محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة: ٧٥ / ٦٥

و ـ مقابلة الإساءة بحمله على وجود عذر له في فعله ذلك.

ـ بعد ان يوضع الإمام هذه القواعد يحذر من أن يقع ذلك في غير موضعه أي مع غير أهله.



١ـ هل يصح التعامل بمبدأ المقابلة بالمثل بين الإخوان؟

٢ـ كيف ينبغي مبادلة أي نوع من البخل عند الأخ؟

٣ـ من هو الذي يستحق التعامل معه بالقواعد الأخلاقية التي وردت بها الآيات؟

٤ـ لماذا يصف الإمام الصادق عليه السلام عدم نصيحة الأخ بالخيانة؟



عن رسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم :

«للمسلم على أخيه ثلاثون حقا، لا براءة له منها إلا بالأداء أو العفو: يغفر زلته، ويرحم عبرته، ويستر عورته، ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويرد غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلته، ويرعى ذمته، ويعود مرضه، ويشهد ميته، ويجيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافئ صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويسمت عطسته، ويرشد ضالته، ويرد سلامه، ويطيب كلامه، ويبر أنعامه، ويصدق أقسامه، ويوالي وليه، ولا يعاديه، وينصره ظالما ومظلوما، فأما نصرته ظالما فيرده عن ظلمه، وأما نصرته مظلوما فيعينه

على أخذ حقه، ولا يسلمه، ولا يخذله، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه»

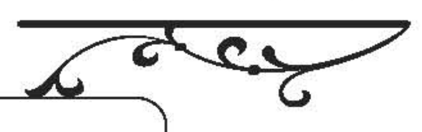


لا تغضب

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في حديث قال:

«سمعت أبي يقول: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجل بدوي فقال: إني أسكن البادية فعلمني جوامع الكلم، فقال آمرك أن لا تغضب، فأعاد عليه الاعرابي المسألة ثلاث مرات حتى رجع الرجل إلى نفسه، فقال: لا أسأل عن شئ بعد هذا ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا بالخير، قال: وكان أبي يقول: أي شئ أشد من الغضب إن الرجل ليغضب فيقتل النفس التي حرم الله، ويقذف المحصنة».

الدرس العاشر



العلاقة مع الإخوان «٢»

«وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذلِكَ يَوْماً مَّا، وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ، وَلاَ تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالاً عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّه، وَلاَ يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الْخَلْقِ بِكَ، وَلاَ تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ فِيكَ، وَلاَ يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ، وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ».

تمهيد

بعد أن نهت التعاليم الأخلاقية الإسلامية عن القطيعة، ودعت إلى عدم اللجوء إليها بين الإخوان، أراد الإمام أن يعالج ما قد يقع خارجا من قبل الناس من القطيعة أحيانا، فلعل مشكلة ما أو سببا ما يؤدي إلى حصول القطيعة بين أخوين، فهل ينبغي أن تكون هذه القطيعة لا رجعة فيها؟ والجواب بالنفي فهذا هو الذي يحذّر منه الإمام عليه السلام فيحث في وصيته على أن يبقي الإنسان شيئا من الصلة لعل القلوب تعود إلى صفائها فتكون في تلك البقية فرصة لإعادة العلاقة الأخوية.

ومن طرق ذلك أن لا يلجأ الإنسان بعد قطيعة أخيه إلى الوقيعة فيه بأن يبدأ بكيل الاتهام إليه أو بيان بعض عيوبه أو مثالبه، بل لو لجأ بعد القطيعة إلى الصمت وتجنب التعرّض له بالسوء فإن ذلك سوف يبقي أمامه خط العودة إلى سابق العهد وهذا ما وردت به الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تتبع أخاك بعد القطيعة وقيعة فيه، فيسد عليه طريق الرجوع إليك، فلعل التجارب ترده عليك»[1].

كن عند حسن ظن أخيك

«ومن ظن بك خيراً فصدق ظنه».

إن من أهم الأسباب المؤدية إلى العداوة والقطيعة أن يطلب الأخ من أخيه شيئا فلا يستجيب له او أن يتوقع منه المبادرة إلى أمر فلا يبادر إلى ذلك، كما لو وقع في ضيق او حاجة فلم يجد استجابة او مبادرة، وكلما استحكمت العلاقة واشتدت الصداقة، زاد توقع الإنسان من أخيه وزاد أمله فيه.

من هذه النقطة بالذات ينطلق الإمام ليدعو في وصيته إلى أن يكون الإنسان عند حسن ظن أخيه، من خلال الاستجابة لطلبه او المبادرة إلى رفع حاجته.

وقد وردت الروايات لتنهى بشدة عن التخلف عن الاستجابة لقضاء حوائج

(١) المجلسي -محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء ،الطبعة الثانية المصححة: ٧٧ / ٢٠٩

الإخـوان ففـي الرواية عـن الإمام الكاظم عليه السلام قـال: «من قصـد إليه رجل من إخوانــه مستجيرا به في بعض أحواله فلم يجره بعد أن يقدر عليه – فقد قطع ولاية الله عز وجل»[1].

وكذلك ورد الحث في الروايات على المبادرة إلى رفع ما يقع فيه الأخ من الضيق وعـدم انتظار طلبه لذلك ففـي الرواية عن الإمام علـي عليه السلام: «لا يكلف أحدكم أخاه الطلب إذا عرف حاجته»[2].

فالطلـب أمر صعب، ومن النفوس مـن تتحرج من ذلك مهما بلغت بها الحاجة، فـلا ينبغـي انتظار ذلـك منهم، بل يسعى لقضـاء حوائجهم بمـا لا يوقعهم في أي حرج.

راعِ حق أخيك

«ولا تضيعن حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقه».

لـكل صلة وعلاقـة تقوم في هذه الدنيا نوع من الحقـوق، فللأب حق وللأم حق، وللأخوة حق. وما لا بد منه هو الحذر من تضييع حقوق الإخوان.

وقـد وردت الرواية التـي تحذّر من ذلـك، ففي رواية عن رسـول الله صلى الله عليه وآله: «إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئا، فيطالبه به يوم القيامة فيقضى له وعليه»[3].

فالتقصير في حقوق الإخوان لا يؤدي إلى سقوطها.

والسبـب في التقصير في حقوق الإخوان كما يكون أحيانا عن سبق تصميم، قد يصـدر أحيانا من خـلال التهاون والاتكال على الصداقـة والأخوة، وهذا ما يحذّر

---

(١) الكليني- الكافـي- دار الكتـب الإسلامية، آخوندي- الطبعة الثالثة - ابـن بابويه- علي- فقه الرضا- مؤسسة أهل البيت: ٢ / ٣٣٦

(٢) الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى - ج ١ ص ٤٩

(٣) المجلسي- محمد باقر - المجلسي- محمد باقر - بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة - الأنوار- مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة -: ٧٤ / ٢٣٦

منـه الإمام عليه السلام ، وأن الأخوة لا تعني إطلاقا التقصير في أداء الحقوق فإن ذلك سوف يؤدي إلى حدوث القطيعة.

وأدنى هذه الحقوق بحسب ما ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام : عنه عليه السلام ـ في بيان حقوق المؤمن على المؤمن: «أيسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك»[1].

الحرص على العلاقة

١ـ «ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته».

كما يصل الإنسان رحمه عليه أن يصل إخوانه، وصلة الإخوان ممكنة من خلال اللجوء إلى طرق متعددة وقد وردت الروايات ببيان بعض هذه الطرق، منها ما ورد عن لإمام الكاظم عليه السلام : «إن من واجب حق أخيك أن لا تكتمه شيئا تنفعه به لأمر دنياه وآخرته، ولا تحقد عليه وإن أساء، وأجب دعوته إذا دعاك، ولا تخل بينه وبين عدوه من الناس وإن كان أقرب إليه منك، وعده في مرضه»[2].

فهذه المفردات التي تعرضت لها الرواية هي عبارة عن أنواع من الصلة، والتقصير فيها او فعل ما يقابلها هو عبارة عن القطيعة.

فلو فرض أن أخاً لك بادر إلى التقصير في واحدة منها، فلا تجعله أقوى منك بل عليك ان تسعى لأن تكون لك الغلبة بأن تبادر إلى صلته، ومواجهة تقصيره بأداء الواجب معه، وقد ورد في الرواية عن لإمام الصادق عليه السلام : «لا يفترق رجلان على الهجران إلا استوجب أحدهما البراءة واللعنة، وربما استحق ذلك كلاهما، فقال له معتب: جعلني الله فداك هذا الظالم فما بال المظلوم ؟. قال: لأنه لا يدعو أخاه إلى صلته[3].

(١) الكليني-الكافي- دار الكتب الإسلامية ،آخوندي-الطبعة الثالثة - ابن بابويه- علي- فقه الرضا-مؤسسة أهل البيت: ٢ / ١٦٩

(٢) الكليني-الكافي- دار الكتب الإسلامية ،آخوندي-الطبعة الثالثة - ابن بابويه- علي- فقه الرضا-مؤسسة أهل البيت: ٨ / ١٢٦

(٣) - الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث ، الطبعة الأولى - ج ٤ ص ٣٤٣٦

وورد فـي رواية أخرى تحديد قطيعـة الأخ وهجرانه بثلاثة أيام فعن النبي صلى الله عليه وآله: «لا يحـل لمؤمن أن يهجر مؤمنا فوق ثلاث، فإن مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه، فـإن رد عليه السلام فقـد اشتركا فـي الأجر، وإن لم يـرد عليه فقد بـاء بالإثم، وخرج المسلم من الهجرة»[١].

وفـي رواية أخرى عن الإمام الباقـر عليه السلام: «ما من مؤمنين اهتجرا فوق ثلاث إلا وبرئـت منهمـا في الثالثـة، فقيل له: يا بن رسول الله هذا حـال الظالم فما بال المظلـوم؟ فقـال عليه السلام: ما بال المظلوم لا يصير إلى الظالـم فيقول: أنا الظالم حتى يصطلحا؟!»[٢]

٢ـ «ولا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان»

الإحسان إلى الناس فضيلة بحد ذاته، وقد وردت الآيات والروايات بالحث عليه فـورد قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾**[٣]

بـل وردت الروايـات بالحث على الإحسان حتى لمن أسـاء، وهذا هو المراد من وصية الإمام عليه السلام بـأن يكون المؤمن أقوى على الإحسان من غيره على الإساءة، ففـي رواية عن أميـر المؤمنين علي عليه السلام: «اجعل جزاء النعمـة عليك، الإحسان إلى من أساء إليك»[٤].

ولمبادلة الإساءة بالإحسان أثر تربوي مهم تعرضت له الروايات وهو عبارة عن اصلاح المسيء وردعه عن الإساءة وتكرارها ففي رواية عن امير المؤمنين عليه السلام قال: «أصلح المسيء بحسن فعالك، ودل على الخير بجميل مقالك»[٥].

---

(١) - الريشهري- محمد- ميزان الحكمة- دار الحديث، الطبعة الأولى - ج ٤ ص ٣٤٣٧

(٢) - المجلسي -محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة: ٧٥ / ١٨٨

(٣) - النحل: ٩٠

(٤) - غرر الحكم: ٢٢٧٣

(٥) - غرر الحكم: ٢٢٧٣



خلاصة الدرس

- لو وقعت القطيعة بين الإخوان، فلا ينبغي قطع كافة قنوات الود والمحبة، بأن يبدأ بكيل الاتهامات او ذكر عيوب أخيه، بل عليه أن يلجأ إلى الصمت لعله يأتي يوم وتعود العلاقة إلى سابق عهدها.

- يدعو الإمام عليه السلام في وصيته إلى أن يكون الإنسان عند حسن ظن أخيه، من خلال الاستجابة لطلبه او المبادرة إلى رفع حاجته.

- لا بد من الحذر من الوقوع في التهاون أو التقصير في حقوق الإخوان.

- لا بد وأن يبادر الإنسان إلى الإحسان، حتى لمن أساء له فإن لذلك أثر تربوي مهم يتمثل في هداية المسيء إلى طريق الحق.



١. كيف ينبغي التعامل بين الإخوان لو فرض وقوع القطيعة بنيهم؟

٢. اذكر رواية تدل على أهمية قضاء حوائج الإخوان.



عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيرا به في

بعض أحواله فلم يجره بعد أن يقدر عليه – فقد قطع ولاية الله عز وجل».

وعن الإمام علي عليه السلام: «لا يكلف أحدكم أخاه الطلب إذا عرف حاجته».



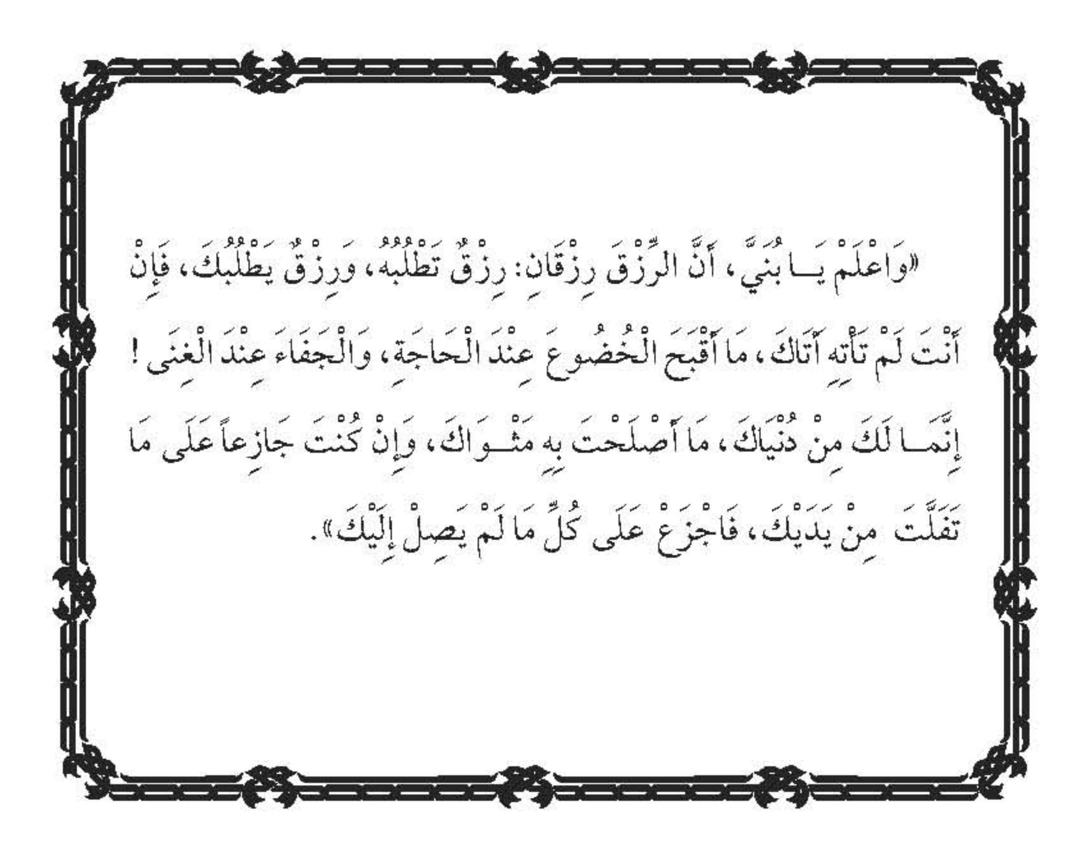
روي أن شامياً رأى الإمـام الحسن عليه السلام راكباً فجعل يلعنه والحسن عليه السلام لا يـرد، فلما فرغ أقبل الحسن عليه السلام فسلم عليه وضحـك، فقال: أيها الشيخ أظنك غريبا ولعلك شبهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدنـاك، ولو استحملتنـا أحملناك، وإن كنت جائعا أشبعنـاك، وإن كنت عريانا كسونـاك، وإن كنت محتاجا أغنيناك، وإن كنت طريدا آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناهـا لك، فلـو حركت رحلك إلينا وكنـت ضيفا إلى وقـت ارتحالك كان أعود عليك، لأن لنا موضعا وجاها عريضا ومالا كثيرا. فلما سمع الرجل كلامه بكى، ثم قـال: أشهد أنك خليفة الله في أرضـه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت وأبوك أبغضـ خلـق الله إلي، والآن أنت أحب خلق الله إلي، وحـول رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل وصار معتقداً لمحبتهم.

وحكـى أن مالك الأشتر رضي الله عنه كان مجتـازا بسوق الكوفة وعليه قميص خام وعمامة منه فرآه بعض أهل السوق فازدرى بزيّه فرماه ببندقة تهاوناً به.

فمضى ولم يلتفت فقيل له ويلك أتدري بمن رميت فقال: لا، فقيل له: هذا مالك صاحب أمير المؤمنين عليه السلام فارتعد الرجل ومضى إليه ليعتذر منه فرآه وقد دخل المسجد وهو قائم يصلى، فلما انفتل أكبَّ الرجل على قدميه ليقبلها فقال: ما هذا الأمـر فقال: اعتـذر إليك مما صنعت فقال: لا بأس عليك فوالله ما دخلت المسجد إلا لأستغفر لك.

الدرس الحادي عشر

القناعة في الرزق



«وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ، مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى! إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ، مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ، وَإِنْ كُنْتَ جَازِعاً عَلَى مَا تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ، فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ».

تقسيم الرزق

- «الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك فإن أنت لم تأته أتاك».

كلنا عاش هذه التجربة، فقد تتوقع أن يأتيك رزق من مكان ما فتسعى إليه وتبذل جهدك في الوصول إليه، ولكنك لا تصل إليه، ولكن رزقا لا تحسب له حسابا ولا تتوقعه يبحث عنك ليصل هو بنفسه إليك.

وانقسام الرزق إلى هذين القسمين، هو باب من أبواب معرفة الله عز وجل حيث يصل الإنسان إلى حالة اليقين بأن الرزق بيد الله فقط.

وقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما أقبح بالرجل يأتي عليه سبعون سنة أو ثمانون سنة يعيش في ملك الله ويأكل من نعمه ثم لا يعرف الله حق معرفته»[١].

وتتحدث الآية الكريمة عن الحكمة في قبض الرزق عن بعض الناس: ﴿**وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ**﴾[٢]

كما تكون الحكمة من تقدير الأرزاق وتوزيعها هو امتحان الناس بها وابتلاؤهم لمعرفة درجة إيمانهم وذلك من ناحية صبرهم على الفقر، وابتلاء لهم واختبارا لكيفية تصرفهم في الرزق فهل ينفقونه في الطاعات او في المعاصي، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: وقدر الأرزاق فكثرها وقللها، وقسمها على الضيق والسعة، فعدل فيها ليبتلي من أراد، بميسورها ومعسورها، وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها[٣].

---

(١) المجلسي -محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة: ٤ / ٥٤

(٢) الشورى: ٢٧.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٩١

قوة الدين

ـ «ما أقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى».

مضمون هذا الوصية هو ما وردت به الآية الكريمة وهي قوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذي يُسَيِّرُكُمْ في الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إذَا كُنْتُمْ في الْفُلْك وَجَرَيْنَ بهمْ بريح طَيِّبَة وَفَرحُوا بهَا جَاءَتْهَا ريحٌ عَاصفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ منْ كُلِّ مَكَان وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحيطَ بهمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلصينَ لَهُ الدِّينَ لَئنْ أَنْجَيْتَنَا منْ هَذه لَنَكُونَنَّ منَ الشَّاكرينَ × فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إذَا هُمْ يَبْغُونَ في الأَرْض بغَيْر الْحَقِّ﴾**[1]

إنها الصورة التي يلجأ فيها الإنسان إلى ربه عند الحاجة وينساه عند الغنى.

هذه الصورة هي التي يتعجب الإمام من درجة قبحها، إن ما ورد في الآيات أعلاه غير مختص بعبدة الأوثان، بل هو قانون كلي ينطبق على كل الأفراد الملوثين من عبيد الدنيا المشغوفين بها فعندما تحيط بهم أمواج البلايا والمحن وتقصر أياديهم عن كل شئ، ولا يرون لهم ناصرا ولا معينا، فإنهم سيمدون أيديهم بالدعاء بين يدي الله سبحانه ويعاهدونه بألف عهد وميثاق، وينذرون ويقطعون العهود بأنهم إن تخلصوا من هذه البلايا والأخطار سيفعلون كذا وكذا. إلا أن هذه اليقظة والوعي التي هي انعكاس لروح التوحيد الفطري، لا تستمر طويلا عند أمثال هؤلاء، فبمجرد أن يهدأ الطوفان وتنقشع سحب البلاء، فإن حجب الغفلة ستغشي قلوبهم، تلك الحجب الكثيفة التي لا تنقشع عن تلك القلوب إلا بالطوفان. ورغم أن هذه اليقظة مؤقتة، وليس لها أثر تربوي في الأفراد الملوثين جدا، أنها تقيم الحجة عليهم، وستكون دليلا على محكوميتهم.

وهكذا الحال في قوله تعالى: **﴿وَإذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإنْسَان أَعْرَضَ وَنَأى بجَانبه وَإذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَريضٍ﴾**[2]

---

(١) - يونس:٢٢

(٢) - فصلت:٥١

النأي الابتعاد، والمراد بالجانب الجهة والمكان فقوله: « نأى بجانبه» كناية عن الابتعاد بنفسه وهو كناية عن التكبر والخيلاء، والمراد بالعريض الوسيع، والدعاء العريض كالدعاء الطويل كناية عما استمر وأصر عليه الداعي، والآية في مقام ذم الانسان وتوبيخه أنه إذا أنعم الله عليه أعرض عنه وتكبر وإذا سلب النعمة ذكر الله وأقبل عليه بالدعاء مستمرا مصرا.

الدنيا فرصة للآخرة

-«إن لك من دنياك ما أصلحت به مثواك».

إذا كان الهدف من العمل في هذه الدنيا، هو الوصول إلى هذه الدنيا ونيل بعض ما فيها، فإن في ذلك الخسران، لأنه من البذل في سبيل ما يُعلم أن مصيره إلى الفناء لا إلى البقاء، فقد ورد في الرواية عن لإمام علي عليه السلام: «متاع الدنيا حطام، وتراثها كباب، بلغتها أفضل من أثرتها، وقلعتها أركن من طمأنينتها، حكم بالفاقة على مكثرها، واعين بالراحة من رغب عنها»[1].

وفي رواية أخرى وردت بالحث على العمل في الدنيا لأجل الآخرة ورد عن الإمام علي عليه السلام: «إن الله سبحانه قد جعل الدنيا لما بعدها، وابتلى فيها أهلها، ليعلم أيهم أحسن عملا، ولسنا للدنيا خلقنا، ولا بالسعي فيها أمرنا»[2].

ولذا ورد في الروايات أيضا بيان حقيقة أن الدنيا تبلغ الغاية من الهوان عند الله عز وجل فهي ليست ذات قيمة عند الله، ففي رواية عن الإمام علي عليه السلام: «مالها عند الله عز وجل قدر ولا وزن، ولا خلق فيما بلغنا خلقا أبغض إليه منها، ولا نظر إليها مذ خلقها. ولقد عرضت على نبينا صلى الله عليه وآله بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك من حظه من الآخرة، فأبى أن يقبلها لعلمه أن الله عز وجل أبغض شيئا فأبغضه، وصغر شيئا فصغره».

---

(١) المجلسي -محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء ،الطبعة الثانية المصححة: ٧٨ / ٢٧٧

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٥٥

لا تجزع من فوت الدنيا

- «وإن جزعت على ما تفلت من يديك، فاجزع على كل ما لم يصل إليك».

لا ينبغـي أن تجزع على مـا ذهب من مالك، كما لا ينبغي أن تجزع على ما فاتك مـن المنافـع والمكاسب، فإنه لا فـرق بينهما، إلا أن هذا حصـل، ذاك لم يحصل بعـد، وهذا فرق غير مؤثر، لان الذي تظن أنه حاصل لك غير حاصل في الحقيقة، وإنمـا الحاصل على الحقيقة ما أكلته ولبسته، وأمـا المقتنيات والمدخرات فلعلها ليست لك.

إن مـا يكـون موجبا لقوة القلب على تحمل ما فات مـن المال وعدم الجزع عليه هو أحد أمرين:

الأول: غنى القلب

والمـراد من غنى القلب أن لا يكـون الإنسان متعلقا بما فاته من مال، فهو زاهد فيـه، ولـذا تجد من يضيع مـن أمامه حظ من هذه الدنيا هـو متعلق بها في حسرة مشتـت البال شـارد الذهن وذلك خلافا لمن أراد الآخـرة وقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «من أصبح وأمسى والدنيا أكبر همه جعل الله تعالى الفقر بين عينيه وشتت أمره ولم ينل من الدنيا إلا ما قسم له، ومن أصبح وأمسى والآخرة أكبر همه جعل الله تعالى الغنى في قلبه وجمع له أمره»(١).

الأمر الثاني: حسن الثقة بالله عز وجل.

إن مـا يهـوّن على الإنســان الأمر فيما يضيع من ماله، هـو حسن الثقة بالله عز وجل. فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «أصل الرضا حسن الثقة بالله»(٢).

وورد فـي روايـة أخرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «والـذي لا إله إلا هو، لا يحسن ظن

(١) الكافي- دار الكتب الإسلامية، آخوندي- الطبعة الثالثة - ابن بابويه- علي- فقه الرضا- مؤسسة أهل البيت: ٢ / ٣١٩

(٢) غرر الحكم: ٣٠٨٥

عبد مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن، لأن الله كريم بيده الخيرات، يستحيي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه، فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه»[١].



- على الإنسان أن يقنع بالرزق الذي يأتيه من عند الله عز وجل، وكما تكون الحكمة من تقدير الأرزاق وتوزيعها هو امتحان الناس بها وابتلاؤهم لمعرفة درجة إيمانهم وذلك من ناحية صبرهم على الفقر، وابتلاءاً لهم واختباراً لكيفية تصرفهم في الرزق فهل ينفقونه في الطاعات أو في المعاصي.
- إن من أقبح ما يقع فيه الإنسان، هو أن يذكر الله عند الشدة وينساه في الرخاء، وقد ورد القرآن الكريم بذم هذه الحالة التي يقع فيها الناس.
- الدنيا في غاية الهوان عند الله عز وجل، فلا ينبغي للإنسان أن يبذل جهده لأجلها فهي فانية لا بقاء لها ولا دوام.
- لو صح أن يجزع الإنسان على ما وصل إليه وضاع منه لصح ان يجزع على كل شيء حتى لو لم يصل إليه أصلا.

وما يرفع الجزع هو أمران، غنى القلب وحسن الثقة بالله.

(١) المجلسي -محمد باقر -بحار الأنوار- مؤسسة الوفاء ،الطبعة الثانية المصححة: ٧٠ / ٣٦٦



أسئلة حول الدرس

١. ما هي ثمرة وفائدة كون الرزق على نوعين وأثر ذلك على الإنسان؟

٢. ما هي الحكمة من تقدير الأرزاق للناس؟

٣. كيف تفسّر قول الله تعالى: «وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ»؟

٤. كيف يمكن للإنسان ان ينتصر على الجزع؟



للحفظ

يقول الله تعالى في محكم آياته:

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾.

ويقول في آية أخرى:

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾



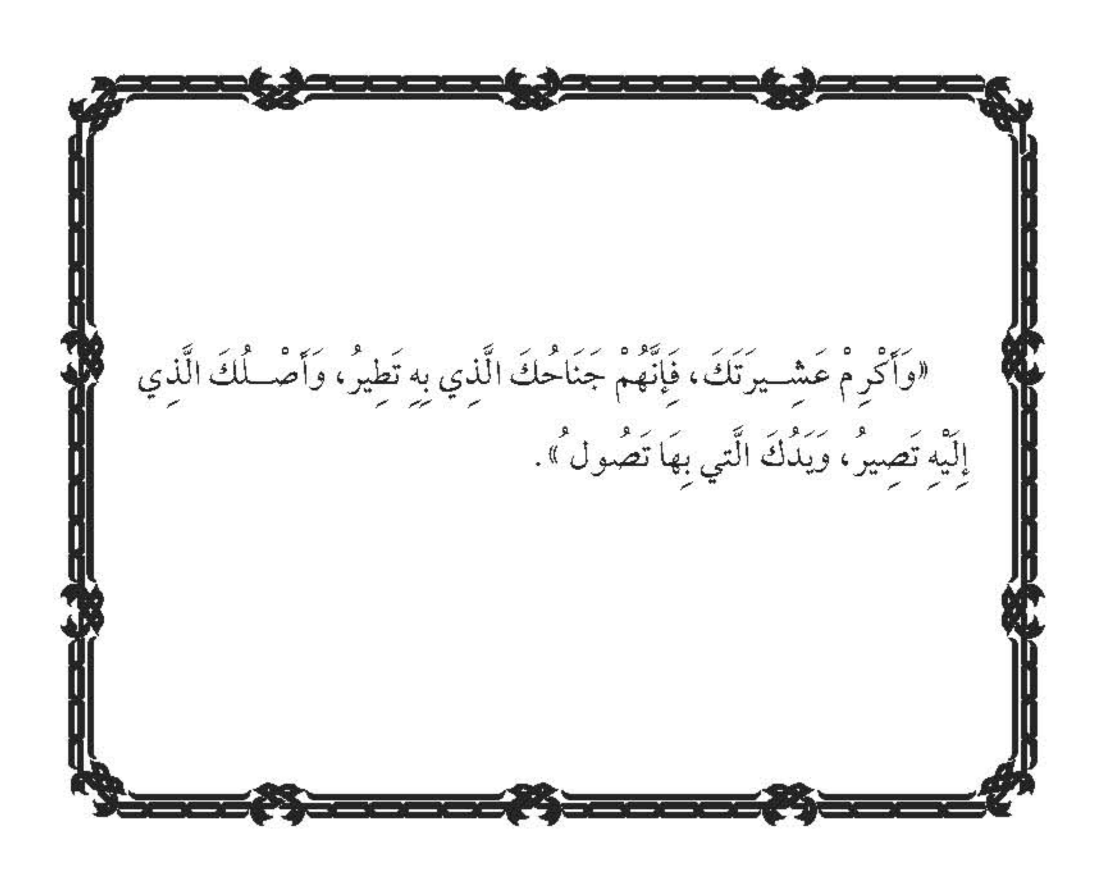
رياضة عليّ عليه السلام

ذكر في كتاب ذخيرة الملوك:

أن علياً عليه السلام كان معتكفاً في مسجد الكوفة فجاء أعرابي وقت إفطاره، فأخرج علي عليه السلام من جراب سويق شعير فأعطاه منه شيئاً فلم يأكله الأعرابي، فعقده في طرف عمامته، فجاء إلى دار الحسنين عليهما السلام فأكل معهما، فقال لهما: رأيت شيخا غريبا في المسجد لا يجد غير هذا السويق فترحمت عليه فاحمل من هذا الطعام إليه ليأكله، فبكيا وقالا: «إنه أبونا أمير المؤمنين علي يجاهد نفسه بهذه الرياضة».

الدرس الثاني عشر

القرابة والرحم



«وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ، فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ».

.العشيرة بمفهومها الإيجابي

العشيرة هي الجماعة التي ترجع إلى عقد واحد، والعشيرة مشتقة من «العشرة» العدد المعروف وحيث أن العشرة تعتبر في نفسها عدداً كاملاً، فقد سمي أقرباء الرجل الذين يكمل بهم عشيرة. ولا شك في أن الإسلام أعطى لمفهوم العشيرة الذي كان سائداً بين العرب في عصر الدعوة بُعده الإيجابي، وأعلن رفضه لبعض المفاهيم السلبية التي كانت سائدة بين العشائر. والتي تتنافى مع التعاليم الأخلاقية والقيم الإنسانية.

أما البعد الإيجابي في العشيرة فهو يتمثل في ما عرف في الإسلام بصلة الرحم، فللرحم حق على المكلف أن يؤديه ولا يقصر فيه.

قال العلامة الطباطبائي: «كيف كان فالرحم من أقوى أسباب الالتيام الطبيعي بين أفراد العشيرة مستعدة للتأثير أقوى الاستعداد ولذلك كان ما ينتجه المعروف بين الأرحام أقوى وأشد مما ينتجه ذلك بين الأجانب وكذلك الإساءة في مورد الأقارب أشد أثراً منها في مورد الأجانب»[١].

والعشيرة أيضاً يمكن أن تشكل عوناً في طاعة الله تعالى وقوة للامتثال للتكليف الشرعي، وقد قال تعالى في قصة نبي الله لوط عليه السلام: **﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾**[٢].

وذكر العلامة الطباطبائي في تفسير الركن الشديد بأنه العشيرة القوية والمنيعة التي تمنعكم من أذيتي.

وذكر في تفسير الأمثل في قوله تعالى: **﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى﴾**[٣]

(ثم أنها توصي بالإحسان إلى كلّ الأقرباء، وهذا الموضوع من المسائل التي

---

(١) محمد حسين الطباطبائي – الميزان في تفسير القرآن – منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية – قم المقدسة – ج ٤ ص ١٤٨

(٢) هود: ٨٠

(٣) النساء: ٣٦

يهتم بها القرآن الكريم اهتماماً بالغاً تارةً تحت عنوان «صلة الرحم» وأخرى بعنوان «الإحسان إلى القربى» وقد أراد الإسلام بهذا - في الحقيقة - أن يقوي من أواصر العلاقة الواسعة بين جميع أفراد البشر مضافاً إلى إيجاد أواصر وعلاقات أقوى وأمتن منها في الوحدات الاجتماعية التي هي أكثر انسجاماً مثل «العشيرة» و «العائلة» ليستطيعوا التعاون في ما بينهم عند ظهور المشاكل والحوادث، والتعاون على الدفاع عن حقوقهم)[١].

وهكذا يكون الأمر بإكرام العشيرة لكي يكون للشخص قوة في عشيرته تدافع عنه لو أراد أحدهم التعدّي عليه أو سلبه حقاً من حقوقه. أي نصرته في الحالات التي يكون فيها مظلوماً. ولذا نجد الإمام علي عليه السلام يصفهم بقوله: «فإنهم جناحك الذي به تطير»، وذلك لأن من يسعى في الأرض لا بد له من تحصيل ما يكون موجباً للأمان بالنسبة إليه، فمن كان له عشيرة، كان له أمان في هذه الأرض.

وإكرام العشيرة لا يكون بالعصبية لهم أو بما فيه معصية الله، بل بمعاملتهم بما أمر به الله، ولذا ورد في رواية عن الإمام علي عليه السلام بيان ذلك بقوله: «فأكرم كريمهم، وعد سقيمهم، وأشركهم في أمورهم، وتيسر عند معسورهم»[٢].

فإكرام الكريم، وعيادة المريض وإعانة المحتاج هي من تعاليم الإسلام التي أمر المؤمن بأن تكون خلقاً من أخلاقه.

خصائص العشيرة

ويشير الإمام إلى بعض خصائص العشيرة فيقول:

- «وأصلك الذي إليه تصير».

لا شك في أن الإسلام نهى عن التفاخر بالنسب، فالفضل الموجب للفخر في

---

(١) ناصر مكارم الشيرازي - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - ج ٣ ص ٢٣٠

(٢) الحراني - ابن شعبة - الوفاة: ق ٤ - تحف العقول - الطبعة: الثانية - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة - ص ٨٨

الإسلام إنما هو التقوى، ولكن الإسلام دعا الناس إلى حفظ أنسابهم، ولذا ورد النهي عن نسبة الولد المتبنى إلى متبنيه بل أمر بنسبته إلى أبيه وقد ورد قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

- **«ويدك التي بها تصول».**

والمراد بهذا التعبير أن العشيرة هي اليد التي يتمكن من خلالها الإنسان أن يكون صاحب سلطة وقدرة.

ولذا ينبه الإمام عليه السلام في كلامه من التصور الخاطئ الذي قد يظنه البعض وأن من يكون ذا مال فإنه يستغني عن العشيرة ببيان كيف تكون العشيرة يدا حتى لصاحب المال، فقد ورد في كلامه التالي: «ولا يستغنى الرجل عن عشيرته وإن كان ذا مال، فإنه يحتاج إلى دفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهي أعظم الناس حيطة من ورائه وألمهم لشعثه، وأعظمهم عليه إن نزلت به نازلة أو حلت به مصيبة، ومن يقبض يده عن عشيرته فإنما يقبض عنهم يدا واحدة وتقبض عنه أيد كثيرة»[1]

المفهوم السلبي للعشيرة

في الوقت الذي دعا فيه الإسلام إلى التمسك بالعشيرة فيما يكون في طاعة الله وبغرض الوصول إلى رضاه، نهى عن اتباع العشيرة فيما كانت عليه العرب من عصبية ونصرة للعشيرة في حق أو باطل.

فقد ورد أولاً التحذير من تفضيل العشيرة على الله ورسوله والجهاد وذلك في قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾[2].

---

(١) المحمودي - نهج السعادة - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان - ج ٤ ص ٣٣٣

(٢) التوبة: ٢٤.

ومــن هنا فإن كانت العشيرة مــن الأمور التي تعين على نصرة الله ورسوله فهي أمــر محبب، وإلا فــإن كانت من الأمور التي تكون هدفا بذاتهــا، دون ما يريده الله كانت مذمومة شرعا.

ومن هنا نقرأ في قصة شعيب قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ × قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيّاً إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾[1]

فقــد ذكر السيد الطباطبائي فــي تفسير هذه الآية قال: «ولولا هذا النفر القليل الذيــن هم عشيرتك لرجمناك لكنا نراعى جانبهم فيك، وفي تقليل العشيرة إيماء إلــى أنهم لو أرادوا قتله يوما قتلوه من غير أن يبالوا بعشيرته، وإنما كفهم عن قتله نوع احترام وتكريم منهم لعشيرته».

ومــن هنا جاء رد شعيب عليهم بأنكم كيف تعــززون رهطي وتحترمون جانبهم، ولا تعــززون الله سبحانــه ولا تحترمون جانبه وإني انا الذي أدعوكم إليه من جانبه ؟ فهــل رهطــي أعز عليكم من الله ؟ وقد جعلتموه نسيــا منسيا وليس لكم ذلك وما كان لكم إن تفعلوه ربى بما تعملون محيط بما له من الإحاطة بكل شئ وجودا وعلما وقدرة[2].

---

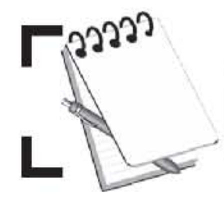
(١) هود: ٩١.

(٢) محمــد حسيــن الطباطبائي –الميــزان في تفسير القرآن- منشورات جماعة المدرسين فــي الحوزة العلمية - قم المقدسة - ج١٠ ص ٣٧٥



خلاصة الدرس

- البعـد الإيجابي في العشيرة يتمثل في مـا عرف في الإسلام بصلة الرحم، فللرحم حق على المكلف أن يؤديه ولا يقصر فيه.
- الثمرة التي وردت في الآيات لوجود العشيرة كونها نصيرة للحق.
- إكرام العشيرة لا يكون بالعصبية لهم او بما فيه معصية الله، بل بمعاملتهم بما أمر به الله.
- نهى الإسلام عن اتباع العشيرة فيما كانت عليه العرب من عصبية ونصرة للعشيرة في حق او باطل.



أسئلة حول الدرس

١. ما هو البعد الإيجابي الذي يراه الإسلام لمفهوم العشيرة؟
٢. اذكر نموذجا قرآنيا لمسألة الاستعانة بالعشيرة على الحق.
٣. ما هو مراد الإمام من وصف العشيرة بأنها الجناح الذي به يطير الإنسان؟
٤. ما هو المفهوم السلبي للعشيرة وما هو النموذج القرآني له؟



يقول الله تعالى في محكم قرآنه:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾



علي عليه السلام وعقيل

يروي أمير المؤمنين عليه السلام ما جرى بينه وبين أخيه عقيل حين أتاه طالبا منه أن يزيد في عطائه عن عطاء سائر المسلمين فيقول عليه السلام :

والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعا «، ورأيت صبيانه شعث الشعور، غبر الألوان من فقرهم، كأنما سودت وجوههم بالعظلم، وعاودني مؤكدا «، وكرر علي القول مرددا «، فأصغيت إليه بسمعي، فظن أني أبيعه ديني وأتبع قياده مفارقا « طريقتي، فأحميت له حديدةً، ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضج ضجيج ذي دنف من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها. فقلت له: ثكلتك الثواكل، يا عقيل ! أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرني إلى نارٍ سجَّرها جبَّارها لغضبه ! أتئن من الأذى ولا أئن من لظى ؟ !...

الفهرس